الجمهوريـــــة الجزائريـــــة الديمقراطيـــــة الشعبيـــــة
République Algérienne démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــــي والبحـــــث العلمـــــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche scientifique

المركـــز الجامعـــي لميـــلـــــة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:

الأنســـــاق الثقـــــــافية في بخـــــلاء الجـــــاحظ

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب قديم

إعداد الطالبة:
زهية عزالدين

إشراف الاستاذ:
طارق بوحالة

السنة الجامعية: 2014/2013

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر وعرفان

أشكر الله سبحانه وتعالى أولا على ما منحني من صبر وعزيمة لإتمام هذا العمل.

بكل العرفان أسجل عظيم شكري وخالص امتناني لأستاذي المشرف "طارق بوحالة" الذي كان نعم الموجه والمتابع في كل خطوة أخطوها فشكرا جزيلا أستاذي الكريم.

إلى كل أساتذتي الذين أسدوا لي يد العون وسداد الرأي اخصهم ذكرا أستاذي الفاضل "طارق زيناتي"، والأستاذ "سليم بوعجاجة"، والأستاذ "بشير عروس".

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة المركز الجامعي "ميلة" على ما قدموه من تسهيلات في سبيل خدمة العلم.

ملخـــــص

ملخص:

مثلت الأنساق الثقافية في بخلاء "الجاحظ" ركيزة أساسية في البحث، وهي أنساق مأخوذة من واقع الثقافة العربية والتراث العربي خلال القرن الرابع الهجري، فهذا القرن يمثل مرحلة من مراحل النضج والتكامل الفكري والأدبي، ففيه ظهرت مختلف الفنون والآداب، وقد سبق النقد الثقافي الدراسات الثقافية، التي كانت لها أهمية في النص لما لها من ارتباط كبير بالثقافة، فلقد حاولت هذه الدراسات بلوغ مناهج أدبية مختلفة.

كما كان هناك جو من الصراعات الفكرية والأدبية أدى هو الأخر إلى بروز العديد من الأدباء والنقاد في مختلف العلوم، ساعدهم على هذا الإمتزاج الذي كان في ذلك العصر الإسهام في الإثراء الثقافي في ذلك الوقت.

كما أثر الجو الثقافي بشكل عام على حياة "الجاحظ" خاصة في كتابه البخلاء وذلك لما ظهر فيه من تأثره الكبير بهذه الأوضاع التي كانت في البيئة العربية، لاختلاط الأجناس وتداخلها ونشاط حركة الترجمة، في هذه المرحلة.

إضافة إلى بروز عدة أنساق ثقافية ذات صلات متداخلة ومترابطة تمثل طبيعة نسقية ظاهرة ومضمرة تعبر عما كان يحدث أنداك، وهي أنساق جعلت من" البخلاء" كتاباً يتعرض للكثير من الانتقادات من طرف العديد من النقاد والباحثين.

و نذكر من الأنساق الثقافية التي توجد في البخلاء "للجاحظ": النسق الديني، النسق الثقافي، النسق الفلسفي، نسق الغيرية، النسق الاجتماعي إلى غير ذلك من الأنساق الأخرى.

Le résumé:

Les aspects culturels dans l'ouvrage de « El boukhala » représente un support essentiel dans la recherche et els se sont des aspects pris de l'actualité et le patrimoine Arabe pendant le quatrième siècle Higratoire , et ce siècle représente un période de maturation et complémentarité intellectuelle et littéraire, cette période a connu aussi l'apparition de différents arts et la littérature, alore que la critique culturelle a déjà présidé les études culturelles, ce que avaient une grande importance dans le texte et aussi un lien avec la culture, ces études avaient tenté d'aboutir différentes méthodes littéraires.

Il y avait aussi une atmosphère de concurrence intellectuelles et littéraire qui a mènent a l'apparition des nombreux littéraires et critique aux différentes sciences, le contact et la mixtion était leur véritable soutien pour enrichir l'atmosphère culturelle.

Généralement, cette atmosphère a fait une grande trace sur la vie de «El djahid », notamment dans son livre « El boukhala » a couse de son influence de la situation vécue ce qu'était a cet environnement Arabe, comme la mixtion des races et la dynamine de mouvement de translation dans cette période.

En addition, l'apparition de nombreux aspects culturels lies et interfaients représentent une nature systématique explicité et implicite exprimé ce qu'était passé en ce moment passé, et ceux sont des aspects que imposent ce livre « El boukhala » a de nombreux critiques par plusieurs critiques et chercheurs.

An ate parmi les aspects existés dans le livre de « El boukhala » l'aspect religieux, cultural, philosophique, altuisme , social…..ets.

مقـــدمـــــة

مقدمة:

لم يكن الشعر الجنس الأدبي الوحيد الذي كان مرآة عاكسة للمجتمع، فلقد كان النثر هو الآخر المتن الثقافي الذي يرمز للبراعة والتفوق الفني، إلى جانب الوصف والتعبير عن مواقف الحياة، ومن الظواهر الاجتماعية التي شاعت في العصر العباسي ظاهرة البخل فلقد صور لنا"الجاحظ" واقع فئة من الناس اتصفوا بهذه الصفة وهم "البخلاء".

لقد اتخذ "الجاحظ" الذات البشرية محورًا أساسيا في كتابه، فهذه الشخصيات التي ذكرها "الجاحظ" أصبح البخل طبعًا أو سلوكًا بارزًا فيها، وبما أن "الجاحظ" كان من أهم كُتّاب العربية الذين تناولوا هذه الظاهرة فإن البُنى أو الأنساق التي يحتويها النص تتضمن الكشف عما هو خفي أو مضمر فيه، لأن شخصية "الجاحظ" الأدبية والعلمية استطاعت أن تبلغ من الإبداع والعطاء شتى المعارف.

وبما أن لكل موضوع أهمية وفائدة علمية، فموضوعنا جاء للكشف عن أهمية الأنساق الثقافية التي يحتويها كتاب "البخلاء"، فقد قدم "الجاحظ" للثقافة والموروث العربي الكثير لذلك اخترت كتاب "البخلاء" للدراسة في مذكرتي والتي عنوانها "الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ" ولكل عنوان مجموعة من التساؤلات التي يخفيها، فما هي الأنساق الثقافية التي يخفيها الجاحظ؟ وهل هناك بُعد إيجابي يميز هذه الدراسة في هذا الكتاب؟ الذي قام"الجاحظ" فيه بتناول ظاهرة البخل.

أما عن المنهج المعتمد فقد فرضت علينا طبيعة البحث على أدوات إجرائية تتعلق بنشاط النقد الثقافي إذ قمنا باستخراج الأنساق الثقافية من خلال شخصيات البخلاء للجاحظ وتحليلها.

وفيما يخص الدراسات السابقة للباحثين حول هذا الموضوع، فإنه توجد على حد علمنا مذكرة قدمت لنيل درجة الماجستير وهي بعنوان "الأنساق الثقافية في مجمع الأمثال للميداني دراسة تحليلية" لطالب إبراهيم محمد إبراهيم الزهراني، جامعة اليرموك ولتحديد

وجهة البحث وإعطاءه معالم رئيسية يُبني عليها، يستلزم وضع حطة منهجية.

فقد مهدت للموضوع بمدخل نحو تحديد مفاهيمي وهي مفاهيم تتعلق بالثقافة ثم النقد الثقافي يلي ذلك مفهوم الأنساق الثقافية.

أما الفصل الأول: فكان الحديث فيه عن السياق التاريخي الذي عاش فيه "الجاحظ" وكيف كانت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والعقلية في ذلك العصر.

أما الفصل الثاني: الذي عنونته بالأنساق الثقافية المضمرة في بخلاء الجاحظ يتمحور الحديث فيه عن ظاهرة البخل في الآداب العربية والآداب الغربية وكيفية استخراج الأنساق المضمرة في كتاب البخلاء للجاحظ، وما تحتويه هذه الأنساق من أهمية كبيرة فقد كشفت لنا عن التراث الثقافي وغيره في ذلك الوقت.

أما عن الصعوبات التي وجهتنا في بحثنا فإن هناك صعوبة في فهم الأنساق المضمرة التي كان يخفيها الجاحظ إضافة إلى صعوبة قراءة التراث العربي، فهو يتطلب وقتاً ودقةً وتركيزًا، كما يتطلب منا البحث ضرورة الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي من شأنها أن تتيح لنا فرصة بما تتضمنه في تدعيم بحثنا ومن أبرزها: كتاب "النقد الثقافي" لعبد الله الغذّامي، وكتاب "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن "لحفناوي بعلي"، و"النقد الثقافي" لـــ أرثرايزابرجر وفي الأخير نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لكل من ساهم في إتمام هذا العمل وأخص بالذكر الأستاذ المشرف"طارق بوحالة" فلقد كانت نصائحه وتوجيهاته وراء إنجاز هذا الجهد حتى بلوغه صورته النهائية ونأمل أن يكون نفعًا لكل قارئ إن شاء الله.

مـــدخـــــل

نحو

تحديد مفاهيمي

1- مفهوم الثقافة

2- مفهوم النقد الثقافي

3- مفهوم الأنساق الثقافية

1- مفهوم الثقافة:

لقد تعددت تعاريف الثقافة عند جلّ الباحثين والعلماء والنقاد، ومصطلح ثقافة مصطلح عام يختلف من حقل معرفي إلى آخر ، لأنها تُستخدم بأساليب مختلفة عند كل إنسان، لما لها من أهمية في حياته مع التطور الذي يحدثه العصر الحديث .

لذلك سنورد تعريفها عند كل من"تايلور" و "مالك بن نبي".

يعرف "تايلور" الثقافة بأنها " ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة ، المعتقدات والفنون والأخلاقيات، والقوانين والأعراف والقدرات الأخرى وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع "[1]

تمثل الثقافة عند: "تايلور" ذلك الكل الم ركب لها تحتويه من معتقدات، وفنون وأخلاق وغيرها من عادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع.

أما "مالك بن نبي" فيعرف الثقافة بأنها " مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر على الفرد منذ ولادته لتصبح لا شعوري ا، تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه...." [2]

إن تعريف "مالك بن نبي " للثقافة يجعلنا نرى بأنها مجموع من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر على الفرد، وتربط سلوكه بأسلوب الحياة منذ ولادته.

إن للثقافة أهمية في حياة الإنسان وبالأخص في العصر الحديث، مع تطور وسائل الإعلام والاتصال، فالثقافة تعد ركيزة أساسية تعبر عن روح الأمة أو بالأحرى ، هي مرآة عاكسة للمجتمع وتأثيرها يختلف من عصر لآخر.

---

(1): نقلا عن زيودين سادار وبورين قان لون: أقدم لك الدراسات الثقافية، تر، وفاء عبد القادر،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط1، ص8.

(2): مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر، عبد الصبور شاهين، مطبعة دار الجهاد، بيروت، ط1، 1995، ص 73.

2- مفهوم النقد الثقافي:

قبل الحديث عن مفهوم النقد الثقافي سنحاول تقديم مفهوما للدراسات الثقافية باعتبارها أسبق منه زمنيا.

أ- الدراسات الثقافية:

ظهرت أهمية الثقافة بصورة واضحة مؤخرا في الدراسات الحديثة، وخاصة في الاتجاه المعروف بالدراسات الثقافية (cultural studies) وقد سبق هذا الاتجاه أو هذا النشاط النقد الثقافي.

حيث حظيت الدراسات الثقافية بشيوع واسع في التسعينيات مع أنها قد بدأت منذ عام 1964م كبداية رسمية منذ أن تأسس مركز "برمنجهام" للدراسات الثقافية تحت مسمى: (Birmingham center for contemporayes cultural studies)

ومر هذا المركز بتطورات وتحولات عديدة، إلى أن انتشرت عدوى الاهتمام بالنقد الثقافي، متصاحبة مع النظريات النقدية النصوصية والألسنية وتحولات ما بعد البنيوية"[1] لم يكن اهتمام الدراسات الثقافية سطحيا فقط، وإنما وجهت اهتمامها إلى اللّب، كما أن لها الفضل في توجيه الاهتمام لما هو جماهيري وإمتاعي.

" هذه الدراسة التي كسرت مركزية النص ، ولم تعد تنظر إليه على أنه نص، ولا إلى الأثر الاجتماعي الذي قد يُظن أنه من إنتاج النص، وحسب مفهوم هذه الدراسة ليس النص هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية، وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان، بما في ذلك تموضعها النصوصي"[2]

لقد فتحت الدراسات الثقافية المجال لأي فعل اجتماعي في أي تموضع كان في النص

---

(1): عبدالله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2008، ص19.

(2): حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن،الدار العربية للعلوم،بيروت لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1 ،2007،ص21.

"والدراسات الثقافية تركز على أهمية الثقافة، تأتي من حقيقة أن الثقافة تعين على تشكيل وتنميط التاريخ".[1]

إن نشاط الدراسات الثقافية قائم على أن للثقافة أهمية تمتد عبر العصور ، كما يطرح "كلنر" "رؤية نقدية يسميها(نقد ثقافة الوسائل) التي تقوم على أساس أخذ الثقافة كمجال للدراسة، حيث لا يجري تفريق بين نص راقٍ وآخر هابط وعدم الانحياز لأي منهما، ولا بين الشعبي والنخبوي "[2]، وذلك من أجل تجنب كل ما هو جماهيري وشعبي.

إن الدراسات الثقافية تفتح المجال للنظر إلى الثقافة على أنها لا تنحاز للنص الأدبي والثقافي سواء كان راق أو هابط شعبي من إنجاز العامة، "فهي تدرس ما هو جماهيري –وشعبي وإمتاعي لهذا وجب الوقوف على ثقافة الجماهير ووسائلها وتفاعلاتها– غير أن "كلنر" يلاحظ أن هناك أنماطا من الأنساق الثقافية جرى تثبيتها لمجرد أنها جماهيرية و إمتاعية ".[3]

يلاحظ "كلنر" أن هناك أنماطا من الأنساق الثقافية جرى تثبيتها لمجرد أنها جماهيرية و إمتاعية رغم افتقادها للفنية والجمالية.

ب– النقد الثقافي:

بعدّ أن عُرفت الدراسات الثقافية عند العرب ، تم الاهتمام بالنقد الثقافي باعتباره نشاطا نقديا جديدا، وقد حاول العديد من النقاد إعطاء تعريف دقيق لهذا النشاط من بينهم " أرثرأيزابرجر" و" فنست ليتش" و " محسن جاسم الموسوي".

يعرِّف " أرثرأيزابرجر" النقد الثقافي بأنه:" مهمة متداخلة، مترابطة، متجاوزة، متعددة كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكار ومفاهيم متنوعة

(1): المرجع السابق: ص21– 22.

(2): المرجع نفسه: ص 42– 43 .

(3): عبد الله الغذامي: النقد الثقافي ، ص23.

وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد".[1]

يعتبر النقد الثقافي لدى "أرثرأيزابرجر" مهمة مترابطة، ومتجاورة، ومتعددة، فهو يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد.

أما "فنست ليتش" فيعتبر النقد الثقافي بأنه رديف لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية".[2]

إذ يشير"فنست ليتش" إلى نوع من النقد الذي يتجاوز البنيوية و الحداثة إلى نوع آخر من النقد يشتغل بموضوعات جديدة.

ويعرف "محسن جاسم الموسوي" النقد الثقافي بأنه: "فعاليّة تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحض من المساس ب ه أو الخوض فيه".[3]

يهتم النقد الثقافي حسب "محسن جاسم الموسوي" بالنظريات والمفاهيم لبلوغ ما لم تبلغها المناهج الأدبية التي طالما اهتمت بالجوانب الجمالية، للنصوص الأدبية.

ج- مقولات النقد الثقافي:

يقوم النقد الثقافي على ثلاث خصائص هامة هي:

-"لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة سواء كان خطابا أو ظاهرة.

-من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل ال مرفية من مثل تأويل

(1): أرثر أيزابرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئسية، تر وفاء إبراهيم رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1،2003،ص 30-31.

(2): عبد الله الغذامي: النقد الثقافي ، ص31.

(3): محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005 ص12.

النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.

-إن الذي يميز النقد الثقافي المابعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى "بارت" و "ديريدا" و "فوكو"، خاصة في مقولة "ديريدا" (أن لا شيء خارج النص)، وهي مقولة يصفها " ليتش" أنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي المابعد بنيوي ومعها مفاتيح التشريح النصوصي كما عند"بارت" وحفريات "فوكو" "[1]، ولهذا فإن النقد الثقافي كما حكم " فنست ليتش" ينفتح عل كل المجالات، ويستفيد من مناهج التحليل المعرفية إضافة إلى تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب والبحث داخل النصوص الرسمية والهامشية على حد سواء.

والنقد الثقافي كما يصفه "فنست ليتش ": "يوظف المعطيات النظرية والمنهجية في السوسيولوجيا والتاريخ، والمؤسساتية من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل النقدي"[2] فالنقد الثقافي يوظف المعطيات النظرية والمنهجية وغيرها،من دون أن يتخلى عن مناهج النقد الأدبي، بل تعتبر هذه المناهج مهمة في الكشف عن الأنساق الثقافية.

د- الفرق بين النقد الثقافي والنقد الأدبي:

إن الناقد عند استعماله مقولات النقد الثقافي، لا بد أن يكون على معرفة واسعة بمختلف المعارف والنظريات الأدبية، والإعلامية والثقافية، ومختلف الاتجاهات والأفكار.

إ ن المتأمل لـلنقد الثقافي والنقد الأدبـي يجد نفسه في حيرة إذا ما كان هناك فرق بينهم أو لا وفي الحقيقة، فحسب معظم النقاد فإن "النقد الثقافي لا يمكن أن يتخلى عن النقد الأدبي لا بصفة الملازمة، وإنما بصفة الدربة والتمهر في قراءة النصوص وأساليبها

(1) : عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، ص32.

(2): يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2009، ص165.

وبناها(أنساقها)، وما يجعل منها ذات قدرة على توسيع رؤية القارئ وأخذه/ وأخذها بعيدا عن كتابة الوصف العادي أو التحليل الميت للوقائع."[1]

مهما كانت معالجة الناقد لمجال النقد الثقافي أو الأدبي إلى أن ذلك يتطلب معالجة دقيقة ومعرفة وتمهر بالنصوص الأدبية.

أما النقد الأدبي هنا " ليس المزاولة المدققة لتحليل النصوص، وإنما المهارة النظرية في قراءة كل نص، من خلال الإتيان به بمعية غيره من النصوص، فلا نص يحقق حضورا قويا وفاعلا أو مؤثرا دون امتداد فيعدد من النصوص الماضية والمعاصرة "[2]. لأي نص أدبي حضور وامتداد من خلال مهارة الناقد في قراءة كل نص.

لا يمكن القول باستقلالية أحدهما عن الآخر، إذن فالنقد الأدبي والنقد الثقافي متكاملان فلا يمكن فصل النقد الأدبي عن النقد الثقافي، كما أن الأدب و منذ القديم سار في مسار واحد حتى اكتسب النقد صفة الأدبية من الأدب والنقد الثقافي اكتسب صفة الثقافي من الثقافة.

3- مفهوم الأنساق الثقافية:

أ – النسق: لغة

مأخوذ من مادة نسق: " النَّسقُ من كل شيء، ما كان على طريقة ونظام واحد، عام في الأشياء وقد نسَّقتهُ تنسيقًا، ويخفف ابن سيده: نَسَقَ الشيء ينْسقُهُ نسْقًا ونسَّقه نظمه على السواء وانتسق هو تناسق، والاسم النَّسَقُ وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَّقَتْ والتنسقُ: التنظيم، والنَّسقُ: ما جاء من الكلام على نظام واحد، والعرب تقول لطوار الحبل إذا امتد مستويا:خذ هذا النسق:أي على هذا الطوار والتنسيق بالتسكين: مصدر نَسْقتُ بين الشيئين وناسْقتُ".[3]

---

(1): محسن جاسم الموسوي: النظرية والنقد الثقافي، ص14.

(2): المرجع نفسه: ص نفسها.

(3): ابن منظور: لسان العرب: ضبط وتعليق ، خالد رشيد القاضي، دارصبح، إديسوفت، بيروت، ط1 2006، ج14، مادة (ن،س،ق)، ص 119– 120.

كما ورد في القاموس المحيط أن النسق هو من:

"نسق الكلام عطف بعضه على بعض، والنسق، محركة ما جاء من الكلام على نظام واحد، نسق الكلام عطف بعضه على بعض، و ناسق بينهما ما تابع، وتناسقت الأشياء و انتسقت و تنسقت بعضها إلى بعض".[1]

بمعنى أن النسق لغة هو ما كان على نظام واحد، بمعنى التنظيم أي هو الكلام الذي يكون على نظام واحد، لهذا فالتنسيق هو التنظيم والنسق هو النظام.

ب – في مفهوم الأنساق الثقافية:

"يجري استخدام كلمة (النسق) كثيرا في الخطابين العام والخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة قد تشوه دلالتها، وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد، كما في تعريف "المعجم الوسيط"، و"قد تأتي مرادفة لمعنى (البنية أو structure) أو معنى النظام (system) حسب مصطلح "دو سوسير".[2]

لقد جرى استخدام كلمة النسق في الكثير من الخطابين العام والخاص، وهي تعني ما كان على نظام واحد، أو تأتي مرادفة لمعنى البنية أو النظام عند دو سوسير، وفي اللسانيات الحديثة النسق هو النظام أو البنية.

أما النسق في النقد الثقافي فهو حسب رأي الغذامي عبارة عن:

"وجود نسقين متعارضين ظاهر ومضمر سرعان ما تختفي في ضوء ما تطرحه هذه الدراسة عبر مصطلحها الجديد(التأويل الثقافي) فالنسق الظاهر بما هو وجود متعين في النص الأدبي ولا يمكن أن ينتج نسقا أحاديا مضمرا" ، كما أشار"الغذامي" إلى القول: "بل إنّ هذا النسق الظاهر يتميز بالمخاتلة التي تفرض على المُؤَوِل الثقافي التحصن بكفاءات

(1): مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8 2005، ص925.

(2): عبد الله الغذامي: النقد الثقافي ، ص76.

وخبرات لفحص هذا النسق ومساءلة إضماراته ".[1]

يرى "الغذامي" أن لوجود نسقين متعارضين في النص ظاهر ومضمر، ينتج نسقا آخر أحاديا وهو الذي يفرض على المؤول الثقافي أن يكون متحصنا بكفاءات وخبرات هذا النسق الظاهر.

ج- الفرق بين النسق الثقافي والنسق الأدبي:

لقد أجمع الباحثون على أن هناك فروق أساسية بين الأنساق الثقافية والأنساق الأدبية، فالنسق الثقافي "يحمل جملة من المعتقدات والأفكار المثيرة للجدل الفكري لتناقضها مع المنطق في أغلب الأحيان، وكذلك يمكن اعتباره صورة مغايرة في ثوب مختلف"[2]، إذ النسق الثقافي هو جملة المعتقدات والأفكار المثيرة للجدل لأنها تتناقض مع المنطق. أما "الأنساق الشعرية فهي نزوع إنساني عفوي يشير إلى حيّز معرفي تحتله الأفكار الجمعية ويُخضع الأفراد لاحتذاء نمط معين، وأنماط معينة، الأمر الذي يتطلب مناقشة العلاقة بين المبدع والجماعة، والمبدع واللغة التي يعبّر بها".[3]

أما النسق الشعري فهو يمتلكه الشاعر من أفكار وأنماط معينة، مما يدل على أن هناك علاقة بين المبدع ومحيطه.

ويمكن حصر الفرق بين النسقين في النقاط التالية:

1- أن الأول ممارسة جماعية، والثاني ممارسة فردّية خاصة تخضع لشروط الجماعة.

2- في النسق الشعري يطلق الشاعر العنان لأحاسيسه لتُعبِّر عن نفسها، أما في النسق الثقافي، فالإنسان يحافظ على شخصيته الثقافية (الأدب النسقي على سبيل المثال).

---

(1): يوسف عليمات: النسق الثقافي، ص 69 – 70.

(2): عبد الفتاح أحمد يوسف : لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدر العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010 ، ص140.

(3): المرجع نفسه: ص 146.

3- في النسق الثقافي تمارس الجماعة الطقوس والشعائر دون وعي حقيقي، أما في النسق الشعري فإن الشاعر يمارس طقوسه بوعي وإدراك.

4- أن النسق الثقافي يظهر في صورة جملة من السلوكيات الجماعية والثقافية الشفاهية أما النسق الشعري فيظهر في صورة لغة مكتوبة تشتمل على رموز يمكن دراستها بوصفها علامات.[1]

رغم الفروق الموجودة إلا أنه لا يمكن الفصل بينهما لأن كلا من النسق الثقافي والشعري مكمل للآخر فلا يوجد مبدع أبدع خارج الأنساق الثقافية وبوصفها نمطا أساسيا للحياة.

د- شروط الأنساق الثقافية:

1- " إن النسق يتحدد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد مقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر.

2- يكون المضمر منهما نقيضا ومضادا للعلني، فإن لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

3- لا بد أن يكون النص جميلا ويستهلك لوصفه جميلا، وصف الجمالية هي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.

4- لا بد أن يكون النص جماهيريا ويحضى بمقروئية عريضة، وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الدهن الاجتماعي والثقافي"[2].

لا بد أن يتحدد النسق عبر وظيفته النسقية، وقد يكون النسق مضمر تحت العلني كما لا بد أن يكون النص جميلا من أجل تحرير الأنساق وإدامتها لأنها فعل عمومي ضارب في الدهن الاجتماعي والثقافي.

---

(1): المرجع السابق: ص147 -148.

(2): عبد الله الغذامي: النقدالثقافي، ص77- 78.

الفصل الأول

السياق التاريخي الذي عاش فيه الجاحظ

تمهيد:

يعد العصر العباسي العصر الذهبي الذي يخالف العصور التي قبله، والعصور التي بعده، والذي يقرأه يجد نفسه أمام عصر تميز بزمانه، وبمكانه وبروز ثقافته وحضارته بزمانه، لاستيلاء العباسيين على الخلافة عام (132هـ/750م)، ومكانه لانتقال الحكم والسيطرة من الشام إلى عاصمتهم بغداد، التي لا تبتعد كثيرا عن موقع بابل القديمة والمدائن، لهذا سيحاول هذا الفصل الحديث عن العصر العباسي الأول الذي عاش فيه الجاحظ، وكيف أثر في بناء شخصيته وعقليته الفكرية والنقدية.

أولا- الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي:

لقد حققت الدولة الإسلامية في ظل العباسيين تقدما حضاريا كبيرا، حيث أفادت من جهود الأمويين ثم زادت عليها أضعافا من ذلك تأليفا وترجمة.

لقد صارت بغداد حاضرة العباسيين، فزخرت بالشعراء والعلماء وأهل الفن، فنجد تأثرهم بالثقافة والحضارة الفارسية بارزة في كتاباتهم وأشعارهم.

1- العصر العباسي الأول (132-232هـ ، 749 - 846 م)- العصر الذي عاش فيه الجاحظ.

2- الحياة السياسية:

إن لاتساع المرحلة الزمنية التي شملها العصر العباسي أثره الكبير في تنوع الأدب، وغناه بمختلف الأغراض والتيارات، وقد عاشت الدولة العباسية ما يزيد على خمسة قرون تمتد من سنة (132هـ) حتى سنة (656هـ)، ويرى المؤرخون أن العهد العباسي قد مرّ بعصور عديدة منها العصر العباسي الأول (132هـ - 232هـ)، والذي نحن بصدد معرفة كيف كانت الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في هذا العصر وما تميزت به من مختلف الظواهر وغيرها.

3- بعض النظم الإدارية والسياسية:

لقد اعتمد العباسيون على الفرس في تأسيس الدولة العباسية، وفي تدبير كثير من أمورها "ويذكر"الجاحظ" أن دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ومن هذا المنطلق غلب الطابع الفارسي على نظم الحكم السياسية والإدارية في الدولة، فاتسع العباسيون في محاكاة الدواوين من أهمها ديوان الرسائل الذي لعب دورا كبيرا في نهضة النثر العربي"[1]

(1): ينظر : سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص 17.

ومما ذكره "الجاحظ" "أن الدولة العباسية أعجمية خراسانية، فقد غلب عليها الطابع الفارسي الذي أدى دورا كبيرا في نهضة النثر العربي، وأن من الأسباب التي جعلت العصر العباسي كذلك عصرا ذهبيا، حكامه العباسيين الذين تبنوا ازدهاره حضارة وثقافة – والدفاع عنه– دينا وسياسة من أمثال: أبي جعفر المنصور، ومن قبله السفاح" [1] هذا كله نتيجة للاستقرار السياسي وإدارة المنصور الحازمة البعيدة عن الترف واللهو والقريبة من الجد والصرامة.

"أجل إنها صورة واضحة وجلية للحالة الاقتصادية والاجتماعية للعصر العباسي الأول فقد كان عصر ثقافة، كما كان عصر ترف ومال وقصور وضياع، وعصر مجون وفسق وضلال".[2]

فلقد كانت الحياة التي يعيشها الإنسان في ذلك العصر صورة واضحة، تعبر عن الترف والمال، والمجون وغيرها.

كما" نشطت حركة الترجمة في العصر العباسي نشاطا كبيرا وازدهرت، فترجمت العلوم والفنون والفلسفة والطب عن الفارسية واليونانية، ونشطت الحركة الأدبية وتطورت الكتابة على أيدي الموالي وشغل الكتاب مناصب عدة، فكان منهم الوزراء والحُجَّاب ". [3]

لعبت حركة الترجمة نشاطا كبيرا في هذا العصر، مما ساعد على انتشار مختلف العلوم والفنون في الوسط الاجتماعي لهذه البيئة، التي كانت تعرف إقبال كبير على مختلف الأجناس.

---

(1): سامي عابدين: في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1 2001،ص 16-17.

(2): المرجع نفسه: ص 233.

(3): المرجع نفسه: ص نفسها.

4- حركة الترجمة:

لا يمكن استعراض الحياة الفكرية في بداية العصر العباسي، دون الحديث عن الدور الأساسي الدور الأساسي الذي قامت به المكتبات العامة والخاصة، بخاصة "بيت الحكمة" الشهير في بغداد " لقد قامت المكتبات قبل الفتوحات الإسلامية بدور كبير نذكر منها "مكتبة الإسكندرية" التي أسست في القرن الثالث قبل الميلاد من قبل "بطليموس" وتعتبر مثالا متميزا، وكانت هناك مكتبات في سورية وبلاد ما بين النهرين استخدمت في العصر الأموي (660 – 750م).

يرجح أن يكون الخليفة المأمون مؤسس بيت الحكمة في بغداد غير أن المؤرخين العرب مثل "ابن النديم" في كتابه "الفهرست" يذكرون هذه المكتبة في علاقتها مع عهد الخليفة الرشيد الذي نقل إليها ترجمات الكتب اليونانية كلها، وكذلك الكتب العربية والكتب المنقولة من الهند و بيزانطة المخصصة للترجمة.

لقد اكتسبت هذه المكتبة، في عهد المأمون مجدها وتحولت من مكتبة بسيطة إلى مركز دراسات حقيقي وتخصصت بترجمة الكتب اليونانية إلى العربية وأصبح لها أهمية خاصة من طرف الخلفاء.[1]

5- الحياة الاجتماعية:

لقد نالت الحياة الاجتماعية التي عاشها "الجاحظ" اهتماما كبيرا، "فقد وصفها وأفاد في ذلك من عدد كبير من الألفاظ ليعبّر بها عن البيئة الجغرافية التي عاش فيها في البصرة وبغداد وكذا عن الفئات الاجتماعية وطبقاتها، إلى جانب هذا كله فقد اهتم الجاحظ باللغة عند الفئات الاجتماعية في العراق في عصره، وأيضا انتشار ظواهر اجتماعية كثيرة في هذا العصر منها: الشعوبية، الزندقة وغيرها".[2]

(1): ينظر مريم سلامة كار: الترجمة في العصر العباسي(مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة)، تر، نجيب عزاوي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، د ط، 1998، ص 14.

(2): ظبية صالح الشذر: ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء، د ط، د ت، ص 15.

كما شهدت الحياة الإجتماعية في العصر العباسي تطورا كبيرا، إذ ضمت مزيجا من الشعوب الإسلامية، "وقد أدت الأموال التي خلفها الخلفاء العباسيون إلى الترف في مناحي الحياة، وأثّر ذلك على الأدباء وانتشر الغناء ، وللجاحظ رسالة "القيان" تناول فيها نفسية القيان وعرض فيها للفساد الذي يعود على المجتمع".[1]

إن ما ميز الحياة الاجتماعية في العصر العباسي، أنها كانت مزيجا من الشعوب الإسلامية الذي ساعد على ظهور ألفاظ مختلفة في هذه البيئة الجغرافية والتي اهتم بها "الجاحظ" وجعلها في كتاباته، ومن العوامل التي ساعدت على التمازج في العصر العباسي وجود الزمان والمكان والحكام، فقد تم اللقاء بين العربي وغيره من الفارسي والتركي، ساعد هذا على انتشار حضرة جديدة وثقافة شاملة، على ذلك بنيت الحضارة وازدهرت الثقافة.

ومن الظواهر التي ظهرت في هذا العصر والتي كانت سائدة في الوسط الاجتماعي " ظاهرة الشعوبية التي كشفت عن وجهها القبيح حيث ارتكزت الدولة العباسية على الفرس واختلف الشعوبيون بين عالم وأديب وشاعر، فمن العلماء يوجد "أبو عبيدة اللغوي" وأصله من يهود فارس، ومن الأدباء "سهل بن هارون" الذي صنف كتبا في التعصب على العرب، من الشعراء "بشار بن برد" وتصدى لهذه النزعة الشعوبية "الجاحظ"، إذ رد عليها ردا عنيفا في كتابه "البيان والتبين" ".[2]

6- الحياة العقلية في العصر العباسي الأول (عصر الجاحظ):

" لقد ازدهرت الحياة العقلية في العصر العباسي والتي استوعبت جميع الثقافات العقلية الأجنبية من يونانية وهندية، وما كانت تنطوي عليه من أبحاث فلسفية وجدل في الإيمان مما كان يثير في نفوس الشباب كثيرا من الشكوك الدينية، وهنا يجب أن نقف عند

(1): سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص 19- 20.
(2): ينظر المرجع نفسه: ص 22.

نقطة مهمة في تاريخ الزندقة وهي أن كثيرا من المجان قد رُموا بالزندقة وليس بالزنادقة وإنما اتخذوا هذه الظاهرة ليوسموا بالطرف والفكاهة".[1]

إن انتشار هذه الملل شكل داخل الدولة العباسية صراعا فكريا لولا محاربة المسلمين لهذه الملل، فهذا كله كان نتيجةً لتأثر الثقافة العربية في العصر العباسي بالثقافات الأجنبية ولا سيما اليونانية والهندية.

7- الحياة الثقافية:

عرفت الحياة الثقافية في العصر العباسي ما عرفته الحياة السياسية والحياة الاجتماعية من تنوع وتقدم وغنى، ولم تنفصل عن هاتين بل كانت بينهما علاقة جدلية، تتأثر كل واحدة بالأخرى وتؤثر فيها.

"كانت الثقافة من أقوى العوامل في النهضة العباسية إذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في مختلف نواحيها، وما يتصل بها من العلوم اللغوية والعلوم الدينية وعلم الكلام".[2]

ولقد اتسعت الثقافة العباسية بامتزاجها بالثقافات الأجنبية، "وهي الثقافة اليونانية، ثم الثقافة الشرقية، وقد تأثرت الثقافة العربية بالفارسية وكذلك تأثر الأدب العربي بالقصص التي نقلت إلى العربية مثل " كليلة ودمنة " ".[3]

كان لامتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية دوره الكبير وذلك من خلال التشجيع الذي كان يقوم به الخلفاء، فقد نتج عن ذلك عامل التأثر و التأثير بين مختلف الثقافات التي كانت سائدة في ذلك العصر، خاصة وأن العلم والفنون والآداب قد ازدهرت في زمن

(1): أحمد عبد القادر محمود عقيل: صراع الحضارات وأثره في الشعر العربي في العصر العباسي الأول (القرن الثاني هجري) أطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات درجة الماجيستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2003، ص 84.

(2): سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، ص 24.

(3): المرجع نفسه: ص 24.

الدولة العباسية ازدهارا ملحوظا، بسبب الانفتاح الفكري على ثقافات وافدة وهي اليونانية والفارسية والهندية التي تلاقحت مع الثقافة العربية الإسلامية.

ثانيا- علاقة الثقافة باللغة:

إن الثقافة هي مجموعة من نماذج التصرف التي تعلمها الإنسان والتي أنشئت ونمت "عن طريق استخدام الرموز وتستمد وجوبها منها منذ أن أصبح الإنسان قادرا على الترميز وبعد أن أصبح قادرا على إعطاء معانٍ ودلالات معينة للظواهر المادية التي تحيط به ولهذا فمحاولة الفصل بين اللغة والثقافة يعد عملا منافيا لطبيعة كل منهما، لأن اللغة تعتبر مظهرا من مظاهر ثقافة أي مجتمع، ولهذا يمكن أن نصف الثقافة بنفس الطريقة التي نصف بها اللغة."[1]

إنّ اللغة هي نسق ثقافي من بين أنساق ثقافية عديدة "فاللغة وما يتصل بها من أصوات وتراكيب ودلالات وما يصاحب استعمالها مثل الإشارات الجسمية (signauxphysiques) والقيم الصوتية (phonologicalevalurs)، ونظام الكتابة ورسم الحروف وما يتصل بها من كيفية تعيين الأقارب والدين وما يشتمل عليه من المعتقدات والعبادات، وشعائر الدين وأشكالها".[2]

فالبناء الثقافي في المجتمع لا يمكن أن يكون من دون لغة تحتويه وتمده برموز من أجل إعطاء دلالات معينة للأشياء التي تحيط به في وسطه الاجتماعي.

(1): عبد الرحمان عبد الدايم: النسق الثقافي في الكناية، مذكرة الماجيستر في النظرية الأدبية المعاصرة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011 ، ص 17.

(2): المرجع نفسه: ص18.

ثالثا- الجاحظ (255هـ / 869 م):

1- إضاءة ذاتية:

"هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، لقب (بالجاحظ) لجحوظه، وهو لقب لم يكن يستحسنه، وإنما كان يحب أن يدعى باسم "عمرو".

يتصل نسبه بكنانة بن خزيمة، كما يقول "البلخي" و"ابن خلكان" فهو عربي أصيل و" ياقوت الحموي" يرجعه إلى أصول غير عربية، وأنه كناني بالولاء، وأن جده فزارة كان يعمل حمالا عند مولاه أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني، ومن ثَم تضاربت الآراء بشأن أصله".[1]

وفي تعريف له أيضا:

"هو عالم العربية الجليل "عمرو بن محبوب" ويكنى "أبو عثمان" وشهرته "الجاحظ" ولد بالبصرة عام ستين ومائة للهجرة النبوية الكريمة، والذي يوافق سنة ست وسبعين وسبعمائة للميلاد، والبصرة يومذاك مهد العلم، ومنتدى الأدب، ومركز الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي أجمع".[2]

وأيضا: "هو أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني السيف المعروف "بالجاحظ" البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنَظَّام المتكلم المشهور وهو خال يموت بن المزرع ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب "المحاسن والأضداد "، وقيل له "الجاحظ " لأن عينيه كانت جاحظتين والجحوظ النُتُوء وكان يقال له أيضا الحدقي".[3]

---

(1): سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، ص83.

(2): علي أحمد الخطيب: دراسات في مصادر الأدب العربي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009 ص 27.

(3): أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري: المحاسن والأضداد، مكتبة الطانجي، القاهرة، ط1، ص3.

ومهما يكن "فالجاحظ" عربي الأصل، وقف إلى جانب العرب وردّ على الشعوبية، ولو كان الأمر كما ذكر ياقوت وأمثاله لرأيناه يناهض العرب ويخطب في حبال الموالي. ولقد كان "الجاحظ" عالما محيطا بمعارف عصره وإماما من أئمة الكلام وزعيما من زعماء المعتزلة وراوية من رواة اللغة العربية وآدابها، وأديبا يكتب عن رهافة في الحس وخصوبة في الخيال وقوة في الملاحظة.[1]

2- مولده:

ولد "الجاحظ" بالبصرة في منتصف القرن الثاني للهجرة، قبل سنة 150 هـ، وقبل سنة 160 هـ، وقد أثر عنه قوله: "أنا أسنُّ من أبي نواس سنة، ولدت في أول سنة 150 هـ وولد في آخرها" أما وفاته فكانت سنة 255 هـ في خلافة المعتز بالله.

وتعد هذه الفترة من أزهى عصور الأدب العربي، إذ شهدت ظهور أقوى الخلفاء العباسيين من أمثال الرشيد والمأمون والمعتصم، ولم يعكر صفوها سوى الصراع الذي وقع بين الأمين والمأمون وهو في الأصل صراع بين العرب والعجم أطلت فيه الشعوبية البغيضة.[2]

3- نشأته ومقامه:

نشأ "الجاحظ" بالبصرة في كنف أبوين فقيرين، ولم يلبث أن فقد والده، وهو بعد طفل صغير، وبذلك اضطر إلى أن يكسب الرزق في حداثته، فكان يبيع الخبز والسمك وتعلم القراءة والكتابة في أحد الكتاتيب، ولما شبّ وتفتح ذهنه أقبل على العلم، وتلقف الفصاحة شفاها من سوق المربد ومن مسجد البصرة، حيث ظهرت طائفة من العلماء والأدباء عُرِفوا بالمسجديين، وكان يطلب العلم في دكاكين الوراقين التي كان يكتريها وقد

(1): عبدالحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، طرابلس ط1، 1988، ص6.

(2): سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، ص84.

يبيت فيها للنظر في تراث الأوائل وكان لا يقع في يده كتاب إلا و قرأه من أوله إلى آخره.[1]

وكان يقول في مرضه: "اصطلحت على جسدي الأضداد إن أكلت باردا أخذ برجلي وإن أكلت حارا أخذ برأسي " وكان يقول:" أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبي حصاة لا ينسرح البول معها وأشد ما على ست وتسعون سنة".

وكان ينشد: [2]

أترجو أن تكون وأنت شيخا كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك لبس ثوب دريس كالحديد من الثياب

وقد أصيب "الجاحظ" بالفالج، ثم النقرس، فعاد إلى البصرة مسقط رأسه، حيث زاره عدد من العلماء والأدباء وقد لازمه الداء حتى وفاته، كما هناك من قال بأنه عندما كان يقرأ انهالت عليه الكتب وبذلك قضت عليه.[3]

ومن الملاحظ أنه نشأ عصاميا، فلم يعتمد إلا على نفسه وهو ذاته قد ذاق مُر العيش وشظف الحياة وقسوتها، وخصوصا بعد وفاة والده، وتحمله للمسؤولية صغيرا، حتى جاءت حياته "سلسلة متصلة الحلقات من الكد والخيبة والحرمان والعناء "، وكان في حاجة ماسة على أن يكون شخصية مرموقة تعويضا عن ظروفه الصعبة التي عاشها ساعده في ذلك حبه للعلم واجتهاده وسعة إطلاعه، وعمق ثقافته، فلقد كان حاد الذكاء "قوي الحفظ، واسع الرواية، بعيد مدى الذكاء، ساطع البرهان، سريع البديهة، حلو الفكاهة، كثير القراءة".

(1): المرجع السابق: ص84 .

(2): أبو عثمان عمرو بن بحر: التربيع والتدوير، تحقيق شارل بلات، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ، د ط 1995، ص5.

(3): سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، ص86.

ونظرا لهذه النشأة العصامية، فقد كره الوساطة والمحاباة، فقد قال:(سألني بعضهم كتابا بالوصية إلى بعض أصحابي، فكتبت له رقعة وختمتها، فلم خرج الرجل من عندي فضها فإذا فيها " كتابي إليك مع من لا أعرفه، ولا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمدك وإن رددته لم أذُمَك").[1]

وعلى الرغم من أنه قد عاش في عصر كثرت فيه الزندقة (وشاعت فيه طائفة من الخرفات في طبقات العامة، وبعض العلماء والمؤلفين، فإن الجاحظ لم يجد بدًّا له من التنبيه على هذه الخرفات، وعلى هذا الضلال، وهو الرجل الذي وقف نفسه على نصرة الحق عمره كله، ولم يبقى "للجاحظ" إلا إظهار ما عنده، والقيام بما يلزمه من نصرة الحق، وهجمة على الباطل، خاصة وقد كثرت خصومه وحساده ومتعقبوه، فلم يجد له أفضل سلاحا من التهكم).[2]

وكانت وفاته سنة (255هـ / 868 م)، والذي يعد أصدق شاهد على عصره.

4- تعليمه:

كان"الجاحظ" صاحب رحلة حيث إنه أمضى حياته متنقلا بين "البصرة وبغداد" ثم رحل إلى وزار "أنطاكية" ثم جاء "مصر" فأكسبه التنقل، وتنوع البيئة، وتباين العيش، عمقا في التجربة، وخبرة واسعة بأحوال الحياة والناس، حيث أن والده توفي وهو يفاعناً فقد كان "الجاحظ" صغير السن، ولم يرث عن أبيه ثروة يعيش بها، أو يقتات منها، أو حتى تعينه على مواجهة بعض أعباء الحياة، بيد أن جو البصرة الثقافي دفعه إلى العلم والتعلم فذهب إلى الكتاب وقد أظهر" الجاحظ " الصبي يومذاك ذكاء خارقا ونجابة نادرة، ونباهة فدة وعبقرية شهد له بها غيره.

(1): بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق، العدد35، ص79.

(2): المرجع نفسه: ص 80.

"وقد كان يغشى المساجد ليلتقي بعلمائها، ليسمع منهم أو يجادلهم، كما كان يتردد على سوق "المربد" قرب "البصرة" من العراق مركز الإشعاع الثقافي، والتمدن والحضارة، وكان يختلف إليه الشعراء والخطباء، وقد شغله ذلك عن العمل".[1]

"وكان "الجاحظ" نهما إلى القراءة، لم يقع في يده كتاب إلا وأتى عليه ويكتري حوانيت الوراقين ويبيت للدرس والمطالعة، وله قدرة على الحفظ والرواية، فأكسبه ذلك معرفة واسعة وثقافة متنوعة، بين دينية وأدبية، عربية ويونانية، فارسية وهندية."[2]

كان "الجاحظ" لطيف الروح، فكه المحاضرة، صادق المواساة، سريع البديهة، حاضر النكتة يقبل على الحياة مغتبطا بها، متفائلا لا يرى منها إلا وجهها المشرق، يسجل الفكاهة حتى لو كانت على نفسه.[3]

" تلقى "الجاحظ" العلم من "الأصمعي" و "أبوعبيدة" و"الأخفش" و"النظّام" وغيرهم من علماء البصرة في القرن الثاني الهجري، سجل اسمه بين المشاهير على مستوى الإنسانية كافة فقد وصفه المحدثون من الشرق والغرب بأنه كان عبقرية كاملة، وقيل: إنه – وإن كان عالما في المحل الأول – حرر البيان العربي ووسع مجراه حتى جاء من بعده من ضيقه بقوالب البديع".[4]

وهكذا كان أبو عثمان" الجاحظ "، عبقرية انفسحت أمامها طرائق المعرفة فانطلقت محلقة في كل الأفاق لا تعرف الحدود ولا القيود.

---

(1): علي أحمد الخطيب: دراسات في مصادر الأدب العربي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط 1، 2009 ص27.

(2): المرجع نفسه: ص 28.

(3): المرجع نفسه: ص 29.

(4): بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق،العدد35، ص76.

5- شيوخه:

تلقى "الجاحظ" تعليمه على يد علماء كانوا نجوما في اللغة والأدب.

"يذكر "أحمد أمين في كتابه " فيض الخاطر"أنه كان في فجر عهد "الجاحظ" ثلاثة نجوم لامعة في اللغة والأدب،وغيرهم "الأصمعي" و"أبو عبيدة" و"أبو يزيد الأنصاري" (وكان هؤلاء الثلاثة هم مثقفو"الجاحظ" ، وقد تأثر بهم إلى حد كبير ولعل روح "الأصمعي" الفكهة المضحكة، شعّت على تلميذه "الجاحظ" فكاهة ودعابة، وقد توسع فيها بما مدته طبيعته وطبيعة عصره، وأخذ عن "أبو عبيدة " فكره ودهاءه مع سعة علمه، ولم يأخذ من "أبي يزيد" إلا علمه بغريب اللغة) ".[1]

وقد تلقى "الجاحظ" النحو على "أبي الحسن الأخفش"، الذي كان من أعلم الناس بطرق الكلام والجدال، وأيضا من شيوخه "حجاج بن محمد المصيصي" في الحديث كما تتلمذ "الجاحظ" على "الخليل بن أحمد الفراهيدي" واقتبس من علمه" وأخذ عنه النحو والعروض والأوزان الشعرية، أما أستاذه الكبير والذي ورث عنه الإتجاه الإعتزالي العقلي، فقد كان أبو إسحاق "إبراهيم بن سيار النظّام " الذي كان معدودا من أذكياء المعتزلة، وذي النباهة فيهم(يتوقد فصاحة من صغره، اطلع على الكثير من كتب الفلاسفة الطبيعيين والإلاهيين) وقد اقتدى "الجاحظ " بأستاذه "النظّام"، الذي كان له دور كبير في التأثير في شخصيته، بكل أبعادها وكان "الجاحظ " وفيا لأستاذه، مخلصا له، مما كان له تأثيرات فكرية وعقائدية كبيرة عليه".[2]

"وقد أثر أستاذه "النظّام" فيه تأثيرا انعكس على فكره وأدبه وسلوكه، حتى جاءت عبارته موجزة ودقيقة واضحة وصريحة، وهكذا لا تراه يقيم إشارة مقام عبارة، بل يعتمد على التصريح بدلا من التلميح، حتى ندرت الرمزية - تقريبا - في كتاباته وإن كان في أسلوبه

(1): المرجع السابق: ص 81.

(2): المرجع نفسه: ص 81 – 82.

التكرار والاستطراد، إلا أن عبارته شيء وأسلوبه أو منهجه في التأليف شيء آخر".[1]

أخذ "الجاحظ" من مشايخ في اللغة والنحو والبلاغة لذلك جاءت كتاباتهم متنوعة والذي أثر في فكره وأدبه أستاذه "النظّام" والذي كان له الدور الكبير في التأثير في شخصيته.

6- ثقافته:

وقد تعددت مصادر ثقافة "الجاحظ" "فكان الكتَّاب، هو أول مصدر من مصادر ثقافته الواسعة، إذ أن الكتاتيب كانت شاسعة في عصر "الجاحظ"، فكان يتردد إليها أكابر علماء اللغة، أمثال "النضير بن شميل" و"أحمد اليزيدي" و"أبي يزيد الأنصاري" أحد أساتذة "الجاحظ" وكانت برامج هذه الكتاتيب تشمل القراءة والكتابة والحساب والسنن والفرائض والنحو والعروض، وأشعار العرب وأيامهم، وذلك لتجهيز الصبية وإعدادهم للدراسة في حلقات الجوامع، أو في المدارس المختلفة التي أنشئت في العصر العباسي".[2]

ولقد كان "الجاحظ" ولوعا بطلب العلم، وكان يحب الرجوع إلى المصادر الحقيقية والمنابع الأصلية في ثقافته، فكان يأخذ عن المشايخ كل في فنه، فاللغة على رجالها، والحديث على رجاله، و الإعتزال على أئمته، كما أحب "الجاحظ" الإطلاع والقراءة حبًّا جمًّا، حتى قال أحدهم في حق "الجاحظ":(لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتاب والعلوم أكثر من الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائنا ما كان، حتى أنه يكتري دكاكين الوراقين فيبيت فيها للنظر).

ومن ثم الكتاب مصدرا ثالثا من مصادر ثقافته، حتى قيل عنه: إنه ألف" أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابا في مختلف فروع الثقافة "، وهو يبرهن في كتابه "الحيوان" على كثرة إطلاعه وسعة أفقه، فيبين كيف أنه تعرف "تعرف على معارف واسعة، وإطلاع

(1): المرجع السابق: ص82.

(2): المرجع نفسه: ص نفسها.

نادرٍعلى جميع الثقافات المعروفة لزمانه من عربية ويونانية، وعى جميع الديانات وتعاليمها من مانوية وزرادشتية ودهرية ونصرانية وإسلامية وعلى جميع الفرق والنزعات".[1]

لقد كانت مصادر ثقافة"الجاحظ" متنوعة متعددة (فأي قرآن أو توراة أو إنجيل، وحديث وخبر تلقاه من الرواة، وشعر عربي كثير، وأمثال مضروبة، وكتب عديدة قرأها في فنون شتى، ومحادثة لمن يثق بهم من أطباء وتجار وذوي حرف، وتجارب يجربها بنفسه في الحيوان، والنبات، وسفر وسماع لمن قد مارس الأسفار وركب البحر، وسكن الصحاري، وسلك الوديان)، كلها زادت من غزارة ثقافته وتنوعها، إضافة إلى قدرته على الاستيعاب والتذكير والحفظ والتحليل والتخيل.

7- مؤلفاته:

لقد عنى "الجاحظ" بتأليف الكتب والرسائل، "فقد أحصى له "ابن النّديم" ما يزيد على مائة وسبعون كتابا، أغلبها رسائل طويلة أو قصيرة، بعضها ضاع، وبعضها وصل، وقد ساعده على كثرة التأليف تفرغه وانصرافه عن العمل الوظيفي في قصور العلماء، كذلك اتساع ثقافته وقدرته على الفهم والإستيعاب، فضلا عن عمره المديد وحياته الحافلة وانتقل بالكتابة من طور التدوين إلى طور التأليف، ووصف "ابن العميد" مؤلفات "الجاحظ" بقوله: " إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا ".[2]

تجلت قدرة "الجاحظ" في تأليف كتبه في اتساع ثقافته وكذا الرحلات التي كان يقوم بها وساعده على ذلك موهبته وذكاءه وقدرته على الفهم والاستيعاب، إضافة إلى عمره المديد وحياته الحافلة بمختلف الثقافات فكتبه تنمي العقل ثم الأدب.

" يعد "الجاحظ" كاتبا موسوعيا، فهو صاحب أول موسوعة عن الحيوان في التراث العربي وهو أول جامع ميداني لعناصر التراث الشعبي في عصره، فهو من أكثر الكتب

(1): بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق،العدد35، ص 83.

(2): سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، النثر، دار المسيرة، ص87.

شعبية ذلك أنه لم يفرق في نتاجه الأدبي بين ثقافة الخاصة وثقافة العامة ومن أبرز أثاره "الحيون"، والذي عرض فيه "الجاحظ" صفات الحيوان و"البخلاء" وتحدث الجاحظ فيه عن أناس التقى بهم في بيئته ويمتازون بالبخل، وكذا "البيان والتبين"، "رسالة التربيع والتدوير" "التاج"، "المحاسن والأضداد" ".[1]

إن أهم الآثار التي تركها "الجاحظ" من كتب ورسائل وأبحاث هي:

7-1- كتاب البخلاء:

وهو أكبر الآثار التي أبقت الأيام عليها من ميراث "الجاحظ" الأدبي الخالص، ومن ذلك كانت تلك الصفة الأخيرة هي موضوع الكلام وهي أقوى صفات "الجاحظ" التي قدمنا ذكرها وأغلبَها عليه وأبرزَها في جميع آثاره، وقد يكون مرجع ذلك إلى طبيعة الفن الجميل، من شدة لصوقه بالنفس وتأثيره في الوجدان وقدرته على مغالبة تقلبات الرأي ومذاهب الحياة.

"ولكنه يرجع - في أكثر أمره - إلى قوة المزاج الفني، وغلبت النزعة الفنية عند "الجاحظ" حتى يمكننا القول في غير تحرج بأن تلك القوة هي التي رفعت من شأنه بين المتكلمين من المعتزلة، فجعلته علما من أعلامهم، وإماما من أئمتهم كما يفيده كلام الشهرستاني عنه لسانهم الناطق باسمهم، الشارح لمبادئهم، بما أوتي من براعة وقدرة" [2] ونحن نعلم أن "الجاحظ" قد عاش في بيئة كلامية معتزلية كما قد يكون تأثر بالمدرسة الأثينية السفسطائية التي كانت تعلم شباب أثينا البيان.

7-2- كتاب البيان والتبين:

هو من أهم كتب "الجاحظ"، قال فيه "ابن خلدون": "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب

(1): المرجع السابق: ص87.

(2): أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، تحقيق طه الحجاري، دار المعارف القاهرة، ط 5، ص18.

الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"فهو في هذا الكتاب يخلط، كعادته بين علوم البلاغة والأدب واللغة والتاريخ والمنطق، وهو مرجع أدبي وثيق، الغاية من وصفه الرد على الشعوبية بتبيان تفوق العرب في البلاغة. [1]

7-3- كتاب الحيوان (سبعة أجزاء):

وهو "بحث ضخم يتناول فيه المؤلف، وهو يصف طبائع الحيوانات، شؤونا لا علاقة لها أبدا بعنوان الكتاب، إنه موسوعة متنوعة تضمنت بحوثا في التعاليم الدينية، من اليهودية إلى المانوية، إلى الزرادشتية، إلى النصرانية، إلى الإسلامية، إلى الإلحادية من دهرية ووثنية، بما في هذه الديانات والوثنيات من شيع ونزعات ومذاهب، ويظهر أن كتاب "الحيوان" هو آخر ما صنف بدليل أنه يذكر فيه سائر كتبه بما فيها "البخلاء" ". [2]

7-4- رسالة التربيع والتدوير:

هي رسالة وضعها "الجاحظ" "في هجاء أحمد بن عبدالوهاب وأفرغ فيها من سمِّه بقدر كبير، ومما قاله في قدح بن عبدالوهاب أنه يعدّ أسماء الكتب ولا يفهم معانيها، ويحسد من غير أن يتعلق فيهم بسبب، وليس في يده من جميع الآداب إلاّ الإنتقال لاسم الأدب". [3]

فهي رسالة يتندر بها على مهجوّه قصد تعجيزه ومعاياته مئة مسالة تناولت معظم المعضلات العلمية التي شغلت مجتمع عصره من تاريخ وفلسفة، إلى كمياء، إلى حيوان إلى نبات...

(1): بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار،كلية التربية، العراق،العدد35، ص16.

(2): المرجع نفسه: ص 15.

(3): المرجع نفسه: ص 16.

8- فلسفته و الإعتزال:

تلاقحت في ذهن "الجاحظ" أصالته المبدعة وقريحته المتّقدة مع غزارة المعارف والآداب والعلوم التي استقاها من مناهل متعددة الجوانب ومتباينة الاتجاهات وأثمرت رؤية جاحظية لمختلف هذه المعارف والآداب والعلوم، لذلك نقتصر على أهم ما امتاز به مَنحَى "الجاحظ" الفكري والفلسفي.

"لا نستطيع أن ننكر البتّة أن "الجاحظ" قدم قراءات وأفكارا فلسفية مهمة وأغن البحث الفلسفي بمعالجاته لمختلف الموضوعات الفلسفية، الفيزيائية والميتافيزيائية"، فتحدث في الألوهية والخلق والنبوة، والإنسان ومشكلاته الاجتماعية والأخلاقية والجمالية والدينية والنفسية...، وأضفى عليها من شخصيته وأسلوبه رونقا وألقّا خاصا، ووصل إلى نتائج إما قديمة ولكن بأسلوبه وطريقته ومنهجه، وإما جديدة لم يُسبق إليها.

"يعد "الجاحظ" في رأي "ج.دي بور" مؤرخ الفلسفة الإسلامية "أعظم رجل أخرجته لنا مدرسة النّظّام"، ويُجمع مؤرخوا الفرق الإسلامية أمثال أبي الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" و ابن المرتضى في كتابه "طبقات المعتزلة" والشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" وغيرهم على أن "الجاحظ" أحد كبار شيوخ المعتزلة وصاحب فرقة من فرقهم هي التي دعيت "بالجاحظيّة"، وكان لها أنصار وأتباع".[1]

لذلك لم يفترق أبو عثمان عن المعتزلة في مبادئهم الرئيسية، المعروفة بالمبادئ الخمسة وهي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكنه انفرد عنهم واستقل باتجاهه بمجموعة من الأراء والمواقف الخاصة، ومن أهم ما انفرد به قوله: "إن المعارف كلها ضرورية طباعا، وليس شيء من ذلك من أفعال العباد وليس للعباد كسب سِوى الإرادة ". [2]

(1): عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2005، ص 16.
(2): المرجع نفسه: ص 17.

تتضمن ثقافة "الجاحظ" في مكوناتها العناصر الكلامية والفلسفية فهو يتلقى الإعتزال عن "النظّام" ويتأثر "بتمامة ابن أشرس" - زعيم فرقة التمامية عن المعتزلة- في قوله " بأن العباد ليس لهم فعل غير الإرادة، بينما يلوح في حديثه عن الطباع، يقول " القاضي عبد الجبار": وقد زاد على ذلك (يعني على القول بالإرادة) بإثبات طبائع الأجسام، كما قال الطبيعيين من الفلسفة - وأثبت لها أفعال مخصوصة ويضيف أن مذهب "الجاحظ" هو بعينه مذهب"الفلاسفة، إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلاهيين"[1]، وبناء على ذلك فإن ثقافة "الجاحظ" متأثرة بالمعتزلة، فهي تتضمن العناصر الكلامية والفلسفية، مما يدل على أن "الجاحظ" كان عالما بالتراث اليوناني خاصة جانبه الفلسفي، يؤكد هذا وجود أسماء هؤلاء الفلاسفة في الكثير من مؤلفاته "ولا ريب أن نُسبت إليه فرقة من المعتزلة سُميت بـــ (الجاحظية) ". [2]

لم تكن شهرة "الجاحظ" مستمدة من كونه مجرد متكلم من أمثال "النظّام" أو "أبو تمامة" وغيرهم، بل كانت مستمدة من مؤلفاته الكثيرة التي خلفها في مختلف فروع الثقافة التي عرفت في عصره، والتي تدل على اطلاعه الواسع العميق على تراث الفكر الإنساني حتى وقته، سواء كان في التراث العربي أو الغربي، أي الأمم الأخرى مما دفع بهذه الثقافة الواسعة على التنوع في مؤلفاته وغناها وشمولها، والمعتزلة طبقات ولكل منها، بنظر "الجاحظ"، شأن خطير، وقد قال عنهم: "لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل".[3]

غير أن أبا عثمان اتفق مع سائر طبقات المعتزلة، في شؤون كثيرة، فقد انفرد بعدة أمور، منها قوله أن المعارف كلها ضرورة طباع وليس للعباد كسب سوى الإرادة

(1): عبد الحكيم راضي: الأبعاد الكلامية والفلسفية في الفكر البلاغي والنقدي عند الجاحظ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2 1998، ص19.

(2): أبو عثمان عمرو بن بحر: ما لم ينشر من تراث الجاحظ، تحقيق حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق ، د ط، 1979، ص7.

(3): جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د ط، ص 22.

ومنها إنكاره كون الإرادة جنسا من الأعراض.

لقد انتشرت المعتزلة انتشارا كاسحا أيام خلافة المأمون حتى غدت المذهب الرسمي واستمرت إلى أن جاء المتوكل.

9- الجاحظ والجمالية العربية:

وقد تحدث الجاحظ عن الجمالية سواء كانت في الشعر أو النصوص النثرية، فلم يعطي الفلاسفة العرب للجمال أي أهمية أو عناية كافية، ولا نجد ذلك إلا عند "الجاحظ"، فقد دفعه إلى ذلك وساعده موهبته الأدبية، مما دفع إلى التساؤل مم إذا كان "الجاحظ" قد استنبط أصوله الفنية من نتاجه أو أنه صاغ نتاجه بعد وضع أصوله الفنية، لذلك فقد وجد "الجاحظ" صعوبة دفعته إلى القول: "أن الأمر الحسن أدق وأرق من أن يدركه كل من أبصره".[1]

لم يهتم "الجاحظ" بالفنون الجمالية، بقدر ما اهتم بفن الأدب، فتكلم عن الخطابة والبلاغة والشعر، وأن الأمر الجميل أو الشيء الحسن يدرك بالبصر.

كما تتجلى النظرة الجمالية عند "الجاحظ" في الشعر ونجد ذلك في قوله: " قال من ينصر الشعر ويحوطه ويحتج له: إن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معينة وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدي الأمانة فيها".[2]

"فالجاحظ" يرى في الشعر أن الأصل فيه هو الجانب الجمالي، الذي يقوم على الشكل الفني، فالجمال يرتبط بالفن بروابط وثيقة منذ الأزل.

"إن الظاهرة الجمالية لا تفسر من جانب شخصي أو فردي وإنما يجب تفسيرها

---

(1): علي أبو ملجم: في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص 33.

(2): كريب رمضان: فلسفة الجمال في النقد الأدبي مصطفى ناصف نموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 68.

في ضوء ظروف بشرية متعددة مثل الجنس أو السلالة، وكذلك البيئة الاجتماعية والمرحلة التاريخية باعتبار العمل الفني ظاهرة طبيعية تنتهي إلى عقل الإنسان الذي ينتمي إلى حضارة بعينها".[1]

وهكذا نرى إلى أي حد تُسهم الظروف المتعلقة بالمكان والزمان والبيئة المحيطة والإعتقادات السائدة، في الإنطباعات الجمالية، وفي الخبرات الفنية إلى حد كبير.

(1): راوية عبد المنعم عباس: الحسن الجمالي وتاريخ الفن (دراسة في القيم الجمالية والفنية)، دار النهضة العربية بيروت، ط 1، 1998، ص 279.

الفصل الثاني:

الأنســـــاق الثقافية المضمـــــــــرة

فـــــــــــي

بخـــلاء الجـــاحظ

تمهيد:

عرفت كتب"الجاحظ" اهتماما كبيرا من طرف النقاد والباحثين لذلك يُعد كتاب البخلاء من أهم الآثار التي خلفها "الجاحظ" في عصره، إذ أن هذا الكتاب يخفي في ثناياه العديد من الأنساق الثقافية المضمرة.

فقد استطاع "الجاحظ" بفضل ذكاءه وسعة علمه أن يكتب عن فئة من الناس في المجتمع العباسي، وبالضبط عن ظاهرة أو قضية اجتماعية وهي "البخل".

لذلك فإن البحث في قضية البخل هو البحث عن أنساق تحيلنا إلى ثقافة تخفي نسق معين في المجتمع العباسي.

أولا- عرض مدونة البحث "البخلاء":

يعتبر كتاب البخلاء من بين أهم المؤلفات التي خلفها "الجاحظ"، الذي كان عالما محيطا بمعارف عصره، لذلك جاءت كتبه لتعبر عن هذه الظواهر، وكتاب البخلاء أحد أهم هذه الكتب، لذلك فهو دراسة أدبية فكهة جمع فيها أبو عثمان أخبار البخلاء والمبخلين في عصره من أهل البصرة وخرسان بنوع خاص وصور لنا نماذج حية ناطقة من أولائك الذين استهواهم الدرهم حتى العماية، فصاروا أضحوكة الناس ومدار تندهم.

"أما غايته من هذا الكتاب الطريف،الذي لم يفقد طراوته على الزمان، فهي على ما يبدو سرد نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وتفسير قصدهم من تسمية البخل إصلاحا والشح اقتصادا، وبيان نواياهم من جعل الجود سرفا والأثرة جهلا".[1]

فكما يبدو أن "الجاحظ" ألّف الكتاب من أجل الكشف عن ظاهرة من الظواهر التي كانت في عصره، وهي ظاهرة البخل حيث أنه "من خلال صور البخلاء والأشحاء يلقي "الجاحظ" في هذا الكتاب، أكثر منه في أي كتاب أخر، أضواء كاشفة على بيئة عصره في شتى نواحيها، فكتاب "البخلاء" من هذا القبيل مرجع وثيق لدراسة المجتمع العباسي إبّان ازدهار بغداد والبصرة وخراسان وخصوصا في عهد الرشيد إلى عهد المتوكل، ولا تقل قيمة الكتاب الأدبية عن قيمته التاريخية، فهو على وجه الإجمال من أشرف أثار الجاحظ أسلوبا وأكثرها متعة ".[2]

فقد سلط "الجاحظ" في كتابه الضوء على فئة من الناس عرفت بالبخل في العصر العباسي وكأنه يكشف لنا عن ظاهرة اجتماعية وثقافية، عبر أسلوب ومتعة فنية وأدبية جميلة.

---

(1): جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د ط، ص 15.

(2): المرجع نفسه: ص 16.

لقد بَرَع "الجاحظ" وأعطى وصفا يتناسب وحالة البخلاء، وكيف أنه جسد مع ما يتناسب وشخصيات الإنسان البخيل "بيد أن براعة الجاحظ في وصف المتسولين ليست بشيء يذكر إذا قيست ببراعته في وصف البخلاء، فإن له في تصوير عبيد الدرهم هؤلاء، وفي فضح أساليبهم شغفا خاصا، فمن الحقد الشخصي الذي يضمره المعدم عادة للنفوس القَدِرة المولعة بالكسب، على حرمانه، أجّجت ثورته على البخل والبخلاء، عوامل سياسية خطيرة، فهي حملته على الشعوبيين مثلا كان لا بّد له أن يمتدح جود العرب ويظهر بخل الموالي، وهل ثمة إهانة، في نظر العربي أقبح من البخل".[1]

لقد وصف الجاحظ البخلاء وصفا دقيقا معبرا عن حالتهم التي كانوا عليها في حبهم للمال وفي تصرفاتهم، فكأنهم كانوا عبيدا من كثرة حبهم للشيء، ففي ذلك إهانة للعربي من شدة البخل.

1- ماهية البخل:

مأخوذ من البُخْلَ والبُخُولُ، بضمها، وكجبل ونجم وعُنقُ: ضدَّ الكَرَم، بَخِلَ، كفرِحَ وكَرُم، بُخْلًا، بالضم والتحريك، فهو باخلَ من البُخْل، كرُكع، وبخيْلٌ من بُخَلأ ورجُلٌ بُخَلٌ محركة: وصف بالمِّصدر، وبخالٌ، كسحاب وشدَّادٍ، ومُعظْم، وأبَخَلَهُ وجَدهُ بَخِيلًا وبَخَلَهُ تبْخيلاً : رماهُ به، وكمرحلةٍ: ما يحملك عليه، ويَدْعوكَ إليه.[2]

أما في كتاب العين نجد أن البخل مأخوذ من:

بخل: بَخلَ بَخلاً وبُخْلاً فهو بَخيلٌ، بَخَّالٌ، مُبخَّلٌ والبَخْلَةُ: بَخُل مرّة واحدةٍ.

قال عدي بن زيد :

وللبَخْلة الأولى لمَنْ كان باخلاً أعَفُ ومن يَبُخلُ يُلمُ ويُلَهَّدِ.[3]

---

(1): المرجع السابق: ص29.

(2): مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة بخل، ص965.

(3): أبو عبدالرحمان الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج 2، دار الكتاب، لبنان، ط1، د ت، ص272.

وجاء في لسان العرب نجد أن البخل مأخوذ من:

" بخل: البُخْل و البَخَلُ: لغتان و قُريء بهما والبَخْل والبُخْول: ضد الكرم وقد بخِلَ يبْخل: بُخْلًا وبَخَلًا، فهو باخل: ذو بُخْل، والجمع بُخّال، وبْخيل والجمع بُخلاء.

والمَبْخَلة: الشيء الذي يَحْمِلك على البخل، وفي حديث النبي – صلى الله عليه وسلم– "الولد مجْبنة مَبْخَلَة "هو مفعلة من البخل".[1]

من هذه المعاجم نجد أن التعاريف اللغوية للبخل تجتمع كلها على أنه مأخوذ من: البُخْلُ، وهو ضد الكرم والجمع بُخّال وبخلاء.

والبخل عاطفة جعل الشيء محصورا متراكما عن طريق الأداء والتكرار، فهو إرادة ذاتية وشعور داخلي ينمو ويتطور، فالإنسان البخيل يجعل من حب الشيء له وكأنه حالة مرضية من شدة تعلقه بما يملكه فهو يبخل في كل شيء خوفا من فقدانه.

2- البخل في القرآن الكريم:

إن للبخل في القرآن الكريم سورا تمثله، فلقد ورد في سورة النساء في قول الله تعالى: { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً }.[2]

فقد وضّح القرءان الكريم أن البخل من الصفات التي لا تليق بالإنسان، ونهى الذين يبخلون ويأمرون بالبخل.

وفي سياق سورة "محمد" يأتي التقابل بين الإنفاق والبخل بكيفية مباشرة، يقول تعالى: { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّه فَمِنْكُم مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَل فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ الْغَنِيّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ }.[3]

(1): ابن منظور: لسان العرب، الجزء الأول، مادة بخل، ص 315– 316.

(2): سورة النساء / الآية 37 .

(3): سورة محـــمد / الآية 38.

أما في سورة الإسراء وسورة الحديد فقد قال الله تعالى في سورة الإسراء: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}. (1)

وفي سورة الحديد قال تعالى: { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.(2)

إن البخل في القرآن الكريم في سور متعددة دليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يحب الإنسان البخيل بل يجب أن يكون الإنسان معتدلا يعطي كل شيء حقه فلا يبسط يده كل البسط ولا يجعلها مغلولة، فعلى الإنسان أن يكون رحيما ينفق مما رزقه الله سبحانه وتعالى.

3- ظاهرة البخل في الأدب العربي:

إن الإمعان في أي عمل أدبي مهما كان عصره، أو توجهه، أو غايته، سيقتضي منا حتما الوقوف على الكثير من القيم التي يحوها، سلبية كانت أو ايجابية وبما أن هذه القيم ملازمة لحياة الإنسان منذ وجوده، فقد راح يستحسن بعضها ويمدحه ويثني عليه، ويذم بعضها الأخر وينفر منه.

"و المتتبع لطبائع الأفراد ونسق العلاقات الاجتماعية في المجتمع العربي، ستصادفه قيم الكرم وبالمقابل تقابلها قيمة البخل، بما تحمله من دلالات نفسية واجتماعية وأخلاقية، واختلاف النظر إليها حسب البيئة والتوجه الفكري والثقافي".(3)

بالإضافة إلى هذا لا يمكن لنا إهمال صورة البخيل التي حاول الأدباء منذ القديم توظيفها كأداة للوقوف على معالم بعض الظواهر الفردية والاجتماعية، ولم يكن للجاحظ السبق، بل كان العرب مهتمين بجمع أخبار ونوادر البخلاء قبله من أمثال "الأصمعي"

(1): سورة الإسراء / الآية 29.

(2): سورة الحديد / الآية 24.

(3): عقيلة بعيرة: بنية الخطاب السردي في بخلاء الجاحظ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العباسي جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011- 2012 ، ص3.

"وابن الحسن المدائني" "وأبو عبيدة"، "وكانت غايتهم منه إثبات ما للعرب من قيم مناقضة لهذه القيمة وبالتالي التفاخر بها ويتجلى هذا في مآثرهم الشعرية والنثرية ".[1]

"أما بالنسبة للسبب الثاني للخوض في موضوع البخل قبل "الجاحظ" فقد كان أسباب محلية تمثلت في الصراع المتعارف عليه بين العباسيين والأمويين، لذلك اتخذت بعض الشخصيات الأموية كمركز لتجسيد ظاهرة البخل ورسم صورة البخيل،وهذا محاباة للدولة العباسية الحديثة النشأة ".[2]

لكن مع ظهور النزعة الشعوبية اتسعت دائرة توظيف المصطلح في وجه الشعوبيين من الفرس خاصة بدافع الدفاع عن القيم العربية والتعصب لها، وكان "الجاحظ" و"ابن قتيبة" أبرز من قاد هذا التوجه الفكري الثقافي، ومن الشعوبيين من طعنوا في القيم العربية، ووسموا العرب بالبخل "المدائني" حيث أقر أن ادعاءات العرب وفخرهم بالكرم كصفة فطرية تقليدية هي مجرد كلام لا يعني بالفعل ولا حقيقة له في الواقع.

"ولأجل إثبات ذلك التقطوا من هنا وهناك أخبارهم، مما يتعلق بمآكلهم الغثة و مطاعهم الكريهة، وهيئة معيشتهم الخشنة، ليحضوا بذلك من قدرهم في نظر جمهور الناس وليحطوهم في أخيلتهم بحر من الضعة والمهانة، بالإضافة إلى هذا يمكن إرجاع الخوض والكتابة في هذا الموضوع إلى دوافع وأسباب أخرى تتعلق بشخصية الأدباء ورغبتهم في تشخيص هذه الظاهرة وإبراز مدى تأثيرها على سير مختلف العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية بين أفراد المجتمع".[3]

"أما بالنسبة لأشهر الأقلام التي شاركت "الجاحظ" الكتابة في موضوع البخل بالإضافة إلى"أبو عبيدة" و"المدائني" و"الأصمعي"، سهل بن هارون في كتابه الموسوم

(1): المرجع السابق: ص 3.

(2): المرجع نفسه: ص نفسها.

(3): المرجع نفسه: ص4.

بـــ "البخل" حسب ما ورد في كتاب "الأعلام للزركلي".

ومهما تعددت الدوافع والحوافز التي حركت أقلام هؤلاء الأدباء إلا أن الطريق التي نقلوا لنا بها هذه المضامين عن البخل، تكاد تكون في معظمها إخبارية خيالية من الصيغة الفنية والجمالية، عكس ما نجده عند "الجاحظ" حيث انتهج أسلوبا جديدا في الكتابة تختلف عن أساليب من سبقوه وهذا لإدراكه مدى أهمية توظيفه للواقع الاجتماعي بمختلف وقائعه وأحداثه كمعيار لبحث مدى التطور الإنساني".[1]

نقل لنا "الجاحظ" أخبار البخلاء وصورهم في أحسن صورة، فقد كان نقله لهذه الظاهرة صورة حية، لأنه عايش الناس في هذا العصر فعرف طبعهم وصفاتهم التي كانت سائدة في ذلك الوقت كما توجد أقلام كثيرة شاركت "الجاحظ" في وصف هذه الظاهرة والكتابة عنها.

4- ظاهرة البخل في الآداب الغربية:

لم ينفرد الأدب العربي عن غيره من آداب الأمم الأخرى في التطرق لموضوع البخل، بل سبقه إليه الأدب الغربي، وهذا ما نجده في الأدب الإغريقي واليوناني على وجه التحديد وهذا نظرا لما اتسم به من أساطير وخرافات كانت تجسد مذاهب فلسفية بأبعاد ونوازع متعددة "إن الحكاية الخرافية خضعت في العصور القديمة عند الشعوب الرومانية لأروع المبالغات، كما تلاعبت بالأكاذيب المسلية، فقد كانت حكاية النفج الخرافية في قديم الزمان تعيش في البيوت ويتقبلها الناس.

وقد أشارت الأسطورة الإغريقية " myte" بأن البخيل كريزوس " cresus" هو أول بخيل عرف في هذا الموضوع أما شخصية البخيل كريميل " chremyle" فهي أول من جسدت لنا صورة البخيل في الأدب الغربي، وبما أن الأدب الإغريقي وسم بازدهار الفنون الشعرية والمسرحية فقد توالى ظهور الأعمال المخلدة لهذا الموضوع في هذين

(1): المرجع السابق: ص5.

الفنين خاصة لدى الشاعر الروماني بلوتس " plotues" في مسرحيته المعنونة بـــ"اولاريا" "dluria" والتي حكاها لناعن الشاعر اليوناني ميناندر" menanedre" التي تطرق فيها لموضوع البخل".[1]

" وبعد هذه المرحلة توالى إبداع الأوروبيين في تشخيص ظاهرة البخل، ووصف شخصيات البخلاء على شاكلة مسرحية الشاعر الايطالي كالرواجوني (1707-1793) والتي عنونها بـــ "البخيل" وهي عبارة عن ملهاة اتبعها بمسرحيات أخرى في الغرض نفسه ومنها "البخيل الغيور" "lavarejalous" "والبخيل المتبرج".

والملاحظ هنا هو أن التشابه بين الحكايات الخرافية، رغم ما يفصل بعضها عن بعض من مسافات زمنية ومكانية، ليس اقل مما بين الشعوب المختلفة من أمور متشابهة رغم إنفصالها".[2]

ويمكن القول أن موليير هو أكثر الأدباء قدرة على تشخيص ظاهرة البخل في الغرب فقد كانت كتاباته خاصة في البخيل رغم طابعها التهكمي إلا أنها كانت اقرب إلى تصوير عيوب معاصريه.

وهنا نلاحظ أن المسرح الغربي وصورة البخيل فيه أخذت مأخذ وأبعاد أخرى أكثر واقعية وموضوعية من ذي قبل وهذا باتساع دائرة الإبداع لتشمل الأدب الإسباني والإنجليزي والروسي مما ساهم في إثراء الموضوع.

5- البخلاء ثقافيا:

يذهب شارل بلافي في كتابه "la milieu basrien et la formation D'al_ Gahiz" إلى أن ظاهرة البخل التي أسس عليها " الجاحظ" كتاب البخلاء كانت صفة مميزة للطبقة البرجوازية أثرت بفضل اقتصادها المفرط معنى ذلك أن البخل شكل منهاجا اقتصاديا وسلوكا حياتيا وحضاريا استطاع أصحابه بواسطته أن يُثبتوا شخصيتهم إزاء قوة النفوذ

(1): عقيلة بعيرة: بنية الخطاب السردي في بخلاء الجاحظ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العباسي جامعة الحاج لخضر باتنة ، 2011- 2012 ، ص6.

(2): المرجع نفسه: ص نفسها.

الثقافي والسياسي والديني، وتبعا لذلك تدخلت ظاهرة البخل في صراع عنيف مع محور القيم الأخلاقية العربية ألا وهو الكرم.

وفي هذا المقام يذهب "فاروق سعد" إلى أنه: "من المؤكد أن هذه الآفة الزمنية قد أوحت الإشمئزاز إلى نفوس العرب المعروفين بطبيعتهم السمحة وميلهم الوراثي للكرم والجود إذ لا ريب في أنهم لم يأنفوا هده النظرية الجديدة ثم ما لبث أن تحول فضولهم ودهشتهم إلى حقد على البخل والبخلاء لما في إطار الشعوبية الطبيعي.[1]

والطريف في موضوع البخل ضمن هدا السياق المتشابك الذي تتنازعه الأطراف الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية أن "الجاحظ" اهتدى بذكائه الحاد إلى أن ظاهرة البخل تشكل الموضوع البؤري الذي تجسدت فيه كل المتناقضات والصراعات داخل المجتمع العربي الإسلامي بتباين أجناسه، وهو ما دفع "طه الحاجري" إلى اعتبار أن "الجاحظ"، أخذ هذا الموضوع الذي كان أكبر مثارة لشهوات السياسية والعنصرية، والذي كان جدير أن يثير عوامل المشاقة والمخاصمة فجعله موضوعا أدبيا خالصا ومتعة فنية رائعة، ويؤكد "الجاحظ" أن أسلوبه كما هو معلوم يعتمد على المزج بين الهزل والجد والضحك والبكاء، ويفسر gh.pellat ذلك بقوله: "إن هذا الإلحاح الذي نعدّه اليوم ممتع الوجوب، كان في زمن "الجاحظ" أمرا ضروريا لأن الهزل عامة مكروه عند العرب لعدم ملاءمته للحلم والوقار". [2]

(1): http://momhycee.justgoo.com يوم 10 مارس 2014.

(2): المرجع نفسه.

ثانيا- الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ :

تمهيد:

تعد ثقافة "الجاحظ" المتنوعة وسعة ذكاءه وفطنته عوامل ساعدته على تنمية قدراته العقلية والفكرية لذلك فقد شغل النقاد والباحثين، حيث استطاع أن يؤرخ لنفسه ويعطي لها مكانة عالية وتاريخا حافلا بمختلف الانجازات، فأبدع وتألق في كتبه بكل ما يستطيع من أجل الكشف وإبراز مختلف الثقافات التي كانت سائدة في عصره وما تتضمنه من أنساق.

لذلك سأتطرق لاستخراج هذه الأنساق من كتابه البخلاء ومحاولة الكشف عما تحتويه وهل أضفى عليها لمسة جمالية؟

1- نسق الغيرية :

يتعلق هذا النوع بمحاولة الكشف عما تضمه الأنساق الثقافية من رؤية للآخر.

إن ذكر "الجاحظ" للشخصيات البخيلة ليس من أجل التشهير بهم، أو تشويه صورتهم وإنما ذكر ذلك من أجل رصد هذه الظاهرة الاجتماعية السائدة آنذاك.

بدأ "الجاحظ" برسالة سهل بن هارون إلى محمد بن زياد وإلى بني عمه من آل زياد حين ذموا مذهبه في البخل وتتبعوا كلامه في الكتب.

الملاحظ في رسالته أنها كتبت ببلاغة عربية إضافة إلى أن سهل بن هارون افتتحها بالبسملة كما استشهد فيها بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبأقوال الخلفاء والتابعين ومما جاء أيضًا في "رسالة سهل بن هارون" "وعبتموني حين قلت للغلام:إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج، لنجمع بين التأدُّم باللحم والمرق، ولنجمع مع الإرفاق، بالمرق الطيب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا طبختم لحمًا فزيدُوا في الماء فإن لم يصب أحدكم لحمًا، أصاب مرقا".[1]

فهذه الأقوال تؤكد على مدى ارتباط بعض الشخصيات الفارسية ومعرفتهم بالثقافة العربية الإسلامية، دليل على تمازج العنصر الفارسي بالعربي والمتمثل في شخصية

(1): أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، البخلاء، منشورات تلانتقيت، بجاية، الجزائر، ص15.

سهل بن هارون ذات الأصل الفارسي التي تعرف الثقافة الإسلامية معرفة دقيقة.

لقد مثل الآخر في قصص البخلاء العنصر الفارسي، الذي استطاع أن يؤثر في الثقافة العربية وأن يتأثر بها لصبح جزءا حيويا منها، بل أصبح عنصرًا أساسيا في بناء المجتمع العباسي.

إن ما تتضمنه شخصيات البخلاء من أفكار سواء كانت أفرداً أو جماعة حيث يدور محور حديثهم عن البخل، فهذه الشخصيات قد امتزجت مع بعضها البعض تحت صفة كانت في مجتمعهم فامتزاج الفارسي بالعربي أنتج ثقافة مشتركة، ومنه فالبخل ليس حكرا على الفرس بل حتى العرب.

وما جاء في "رسالة سهل بن هارون" قوله: " وعبتموني حين زعمت أن التبذير إلى مال القمار، ومال الميراث، و إلى مال الالتقاط، وحباء الملوك، أسرع، وأن الحفظ إلى المال المكتسب، والغنى المجتلب، وإلى ما يعرض فيه لذهاب الدين، و اهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب أسرع، وأن من لم يحسب ذهاب نفقته، لم يحسب الدخل، فقد أضاع الأصل، وأن من لم يعرف للغنى قدره، فقد أذن بالفقر وطاب نفسًا بالذلّ".[1]

نفهم من كلامه أنه توجد مفارقة بين البخل والاقتصاد، في قوله: وأن من لم يعرف للغنى قدره، فقد أذن بالفقر وطاب نفسًا بالذلّ.

فالنسق الاجتماعي للبخل كان ظاهرا في هذه البيئة، فقد كان الأخر متأثرا بهذه الثقافة السائدة في المجتمع، ومن الشخصيات التي ترفض عادات الأخر الفارسي، نجد شخصية عمرو بن القعقاع الذي أزعجه أن ينّوع خادمه الطعام لضيوفه، وكأن العربي هنا مختبئ وراء الأخر الفارسي، لكن هنا نجد أنه ليس رفض لعادات الأخر السيئة إنما من أجل احترام الموروث الديني والسلوكي

وكأن "الجاحظ" أراد أن يبين أن الأخر الموجود في بخلائه هو العنصر الفارسي

(1): المصدر السابق: ص17.

لكن ليس الفارسي فقط من تطلق عليه هذه الصفة، وكأنه نسق مضمر تحت الظاهر، أي أن الفارسي لم يصور بتلك الصفة السلبية، كذلك نجد مفارقة في كيفية المحافظة على المال والاقتصاد، من ذلك قول النبي – صلى الله عليه وسلم–: (يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج، وقالوا: "درهمك لمعيشتك، ودينك لمعادك" فقسّموا الأمور كلها على الدين والدنيا ثم جعلوا أحد قسمي الجميع، الدرهم وينقل كذلك عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– : "إني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في اليوم". [1]

دليل على أن الترف الذي كان سائدا عند بعض الفئات من المجتمع يدل على أن هناك طبقية، في المجتمع في ذلك العصر، ومثال ذلك ما جاء في قول أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– فهو معبر أيضا عن التبذير في الرزق.

فالنسق الظاهر عند بعض الفئات دليل على مدى تبذيرها، وكما يوجد بخل هناك في المقابل ترف.

وهذا الامتزاج الثقافي للآخر مع الذات العربية في كتاب البخلاء، دليل على أنه "صورة صادقة لتأثر العربي بالأخر الفارسي، الذي لم يعد يشكل ثقافة غريبة، بل صار جزءً حيويًا من الثقافة العربية الإسلامية يؤثر فيها"[2]

لقد أراد "الجاحظ" أن يبين مدى تأثر الآخر بتعاليم الإسلام وهو ما تجلت به الثقافة والعلاقات الحضارية بين الشعوب المختلفة، فالنسق الديني الذي كان سائدا في المجتمع ساهم هو الآخر في هذا الامتزاج ، فقد استطاع العربي الإنفتاح على الآخر من خلال ثقافتهم وأساليب عيشهم.

إن الشخصيات البخيلة التي ذكرها "الجاحظ" ليس كلها بخيلة فهناك من نسبت إليه هذه الصفة.

---

(1):المصدر السابق: ص19– 20.

(2): ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، دار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2010، ص 45.

وكان النسق الظاهر قد أثر على بعض الأشخاص، فالبيئة والوسط الاجتماعي أحيانا يفرض على بعضهم صفات فأصبحت تعمم الظاهرة على كل شخص سواء كان فردًا أو جماعةً.

كما أثّر عنصر الزمان والمكان على شخصيات البخلاء غير العربية وبذلك نذكر أهل خراسان نخص بذلك أهل "مرو" فقد كانوا من أكثر الناس بخلاً.

يتحدث الجاحظ عن أهل مرو وخرسان باعتبارهم أكثر بخلاً.

"قال أصحابنا: يقول المروزي للزائر، إذا أتاه وللجليس إذا طال جلوسه: "تغذيت اليوم"؟ فإن قال: نعم، قال:"لولا أنك تغذيت لغذيتك بغذاء طيب"، وإن قال: "لا" قال: "لو كنت تغذيت، لسقيتك خمسة أقداح" فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير ".[1]

فكلها أنساق تحيلنا إلى الآخر الذي هو الفارسي فلقد خص "الجاحظ" شخصية عربية بصفة البخيل وهو "الكندي" ومثال ذلك قول "الجاحظ" :"وحدثني "عمرو بن نهيوي" قال: "تغذيت يوما عند الكندي، فدخل عليه رجل كان له جارا، وكان لي صديقا، فلم يعرض عليه الطعام ونحن نأكل "وكان من أبخل خلق الله"، قال: " فاستحييت منه"، فقلت: "سبحان الله! لو دنوت فأصبت معنا مما نأكل". قال: " قد والله فعلت"، فقال الكندي:" ما بعد الله شيء" قال عمرو: " فكتفه والله كتفا لا يستطيع معه قبضا ولا بسطا، وتركه، ولو مد يده لكان كافرا أو لكان قد جعل مع الله جل ذكره، شيئا".[2]

يعد الكندي الآخر العربي بالنسبة إلى الفرس "إن اشتراك الكندي ذو النسب العريق والمكانة الإجتماعية المرموقة مع أهل مرو في صفة البخل نفسها" [3]، وهذا دليل على أن "للجاحظ" رؤية وأسلوب في تصوير هذه الشخصية وكأنه يحيل القارئ إلى أنساق ثقافية خلف هذه الشخصية العربية التي تتصف بالبخل.

---

(1):أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ)، البخلاء، ص21.

(2): المصدر نفسه: ص 21-22.

(3): ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ص46.

لقد جسد لنا "الجاحظ" لما له من قدرة إبداعية تقوم على الخيال وسعة ثقافته وذكاءه الحاد، وقد أراد أن يقدم لنا صورة عن الآخر سواء أكان فردا أم جماعة وهل هو شخص سلبي أم ايجابي؟ ومن خلال قراءة البخلاء وحسب قول "الجاحظ" فإن هذا الآخر بالنسبة للعربي يمثل ثقافة العربي والإسلامي، أي أنها تحيلنا إلى أنساق خفية في المجتمع العباسي، فنحن لا نربط البخل بالآخر فقط فربما طبيعة هذه الحياة فرضت عليهم ذلك فالعرب أيضا بخلاء، تحيلنا إلى التراث العربي.

كما هناك مفارقة أشار إليها "الجاحظ" عن البخل والاقتصاد، نجد ذلك في قصة الاقتصاد في " يلبس الأحقاف":

"حكى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظّام، عن جاره المروزي أنه كان لا يلبس خفا ولا نعلا إلى أن يذهب النبق اليابس لكثرة النوى في الطريق والأسواق، قال: ورآني مرة مصصت قصب سكر فجمعت ما مصصت ماءه، لأرمي به، فقال: " إن كنت لا تنّور لك ولا عيال عليك، فهبه لمن له تنور وعليه عيال وإياك أن تعود نفسك هذه العادة في أيام خفة ظهرك لا تدري متى تأتيك العيال". [1]

إن خوف الفرد من فقدان شيء ما يجعله بخيلا، فهذا البخل أحيانا ناتج عن بخله وأحيانا أخرى عن اقتصاده، أي تداخل البخل مع الاقتصاد والحاجة، لهذا فقد استطاع الآخر (الفارسي) الذوبان في البيئة الثقافية والاجتماعية العربية الإسلامية من خلال علاقة التأثر والتأثير فقد أثر الفارسي على العربي والعكس.

فالبنية الاجتماعية أو النظام الذي كان عليه المجتمع في ذلك العصر أثر في ظهور نسق بارز وهو النسق الثقافي للبخل، أي أن البخل أصبح نسقا ثقافيا في الحياة العباسية.

ويشكل الآخر نسقا ايجابيا للتراث العربي الإسلامي بفضل الانسجام والتفاعل "فالجاحظ" أراد أن يوصل للقارئ مدى ترابط الأنا والآخر فطبيعة المكان والزمان أيضا تساهم في ذلك.

(1): أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ): البخلاء، ص34.

"إن ثقافة المكان تشكل بنية نصية حية في النص، لها قدرتها على التفاعل والانسجام مع الأحداث والشخصيات، فهي تمارس فعل ايجابي من خلال التفاعل والتجدد".[1]

لهذه الطبائع والأخلاق انعكاس مباشر للبيئة الجغرافية والاجتماعية والطبيعية ويتجلى ذلك بوضوح في القصة التالية التي يرويها لنا أبو عثمان " قال "أحمد بن رشيد": " كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه فقلت له، إمَّا عبثا وإمَّا ممتحنًا: أطعمني من خبزكم، قال: لا تريده، هو مّر، فقلت: هات لي من كذا كذا، قال: لا تريده، هو كذا وكذا، إلى أن عددت أصنافا كثيرة، كل ذلك يمنعنيه ويبغضه ويبّغضه إليَّ فضحك أبوه وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علمهُ ما تسمع؟ يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم".[2]

إن ارتباط النسق بالشخصيات وتداخل الأحداث وتمحورها حول البخل كشف لنا عن انساق مختلفة منها: الاجتماعية، الثقافية، والدينية، فكلها تدور حول موضوع واحد وهو البخل.

لقد ذكر لنا "الجاحظ" في البخلاء مختلف الفئات التي كانت في ذلك العصر وأبرزها المعتزلة والشيعة والخوارج، فهذه الفرق كلها نشأت بسبب تمازج الثقافات وبروز الآخر في البيئة العباسية.

وقد نتج عن ذلك ظهور عداوة بين هذه الفرق، نجد ذلك في قصة "الكندي" في قول "الجاحظ":" أنت تطالبني ببعض المعتزلة للشيعة، وبما بين أهل الكوفة والبصرة بالعداوة التي بين أسد وكندة وبما في قلب الساكن من استثقال المسن، وسيعين الله عليك، السلام "[3] فكل فرقة من هذه الفرق هي آخر بالنسبة لكل فرقة معارضة لها.

---

(1): فارس عبد الله بدر الرحاوي: ثقافة المكان وأثرها في الشخصية الروائية، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية العراق، المجلد11، العدد2، 2011، ص265.

(2): عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2005، ص103.

(3): أبو عثمان عمرو بن بحر(الجاحظ): البخلاء، ص95.

كما هناك إشارة عن النسق الثقافي الظاهر والباطن في قول"الجاحظ" من حديث إسماعيل بن غزوان: " ومن أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يوجد في العين، كان أجدر أن يخطيء في باطن دينه وفيما يوجد بالعقل".[1]

وكأن "الجاحظ" يريد أن يقول أن هناك من يخطئ مع الناس وأن هناك من يخطئ حتى مع نفسه، وكل إنسان على وجه الأرض يخطئ إلا الله سبحانه وتعالى.

2- علاقة الأنا بالآخر في كتاب البخلاء:

أ- عرب – فرس:

ب- أنا – الآخر:

من خلال البخلاء "للجاحظ" يظهر لنا أن الأنا البارزة فيه ربما تعود على العنصر أو الفرد العربي أو تعود على "الجاحظ" في حد ذاته، فربما يتحد ينسبها الجاحظ إلى نفسه أو إلى العربي، فهذه الأنا في البخلاء تتميز بطابع سلبي لما اتصلت به من بخل و كأنه أراد أن يبيّن أن الأنا له خاصية الأنانية و الشح في كل شيء فقد أصبح البخل طبعا فيهم وفي أولادهم.

وهذه الأنا على العربي فقط بل قد يكون أيضا العنصر الآخر الفارسي " قال عمرو: بينا أنا ذات يوم عنده إذ سمع صوت انقلاب جرّة من الدار الأخرى فصاح: أي قصاف ! فقالت مجيبة له: بئر وحيائك! فكانت الجارية في الذكاء أكثر منه في الإستقصاء [2]

كما أن هناك جانب آخر من الأنا و نشير إلى الجانب الأخلاقي فهي تقوم وفق مبدأ الأخلاق.

لقد اختار "الجاحظ" الكتابة من أجل الكشف عن حقيقة الإنسان وما تخبئه الذات الإنسانية من طبائع و صفات.

مما يكشف لنا أنه تعرض لمؤثرات قوية هزت و حركت مشاعره في ذالك العصر

(1): المصدر السابق: ص96.

(2): المصدر نفسه: ص85.

كما يتضح لنا من خلال قراءة "البخلاء" أن الآخر بالنسبة "للجاحظ" هو العنصر الفارسي فلقد أثّر الآخر في الثقافة العربية الإسلامية تأثيرا ملحوظا " فهو صار جزءً حيويا من الثقافة العربية الإسلامية يؤثر فيها بعد أن اجتاز مرحلة التأثر وبدأ مرحلة الإبتكار" [1]من ذلك أن العرب كانت تُردد أقوال الفرس، وبذلك تجلت في هذه الثقافة العلاقات الحضارية بين الشعوب المختلفة.

ومثال ذلك ما جاء في "البخلاء"، "استشهد قبل أن يحج، والآخر كان يضحي عن "أبي بكر وعمر"، ويقول: أخطأ السنة في ترك الضحية، وكان الآخر يفطر عن عائشة أيام التشريق ويقول: "غلطت رحمها الله في صومها أيام العيد، عمن صام عن أبيه و أمه، فأنا أفطر عن عائشة" ".[2]

استطاع "الجاحظ" بأدبه العظيم أن يعكس صورة حقيقية للأمة في واقعها التاريخي الذي عاشته فعلاً.

فهذه القصص توحي إلينا الاختلاط الذي كان بين الفرس والعرب وكان الأخر قد أصبح جزء من المجتمع الإسلامي، "وقد جسد لنا ايجابيات هذا العصر وروحه الإسلامية السمحة، التي تبدت في التعامل مع الفرس الذين انصهروا في المجتمع العباسي".[3]

إن العلاقة بين الأنا و الآخر علاقة نبيلة في الامتزاج العربي و الفارسي عزز التواصل بينهما.

نرى أن الآخر من خلال قصص "البخلاء" قد أصبح منصهرا في الثقافة العربية لان طبيعة الإنسان تفرض عليه العيش في وسط اجتماعي تحكمه نضم و قيم، فالأنساق الثقافية الظاهرة ساعدت على هذا الاختلاط.

فقد حاول "الجاحظ" بوصفه ذات تخطى حالة الأنا في الواقع و إثبات الذات الأخرى

(1): ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ص45.

(2): أبو عثمان(الجاحظ): البخلاء، ص123.

(3): ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، ص49.

من خلال النماذج التي صورها لنا في كتاب "البخلاء" والحضور البارز للانا والآخر كان بكثرة، إن احترام الموروث الديني السلوكي أدى بالعربي إلى رفض أو إعطاء بعض أوصفة سيئة للآخر الفارسي، والمتأمل يدركانه رفض لهذه السلوكيات و ليس رفضا للآخر.

3- النسق الديني:

لقد كان للنسق الديني حضورًا بارزا في بخلاء "الجاحظ" و ذلك من خلال استحضار الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة من قبل شخصيات "البخلاء"، لقد التمس البخيل لنفسه عذرا حين استشهد بالأحاديث النبوية وبالآيات القرآنية و ذلك لدرجة أن استشهد بها بغية جعل البخل ظاهرة صحية.

إن النسق الظاهر الذي لجأ إليه البخيل جعله يختبيء أو يضمر ما تحمله هذه الأنساق الدينية من دلالات ثقافية تعبر عن تلك الفئة من الناس، فقد استطاعت هذه الشخصيات البخيلة أن تنتقي لنفسها نصوص دينية تخدمها، فالنسق الكلي أو الظاهر هو النسق الديني الذي أصبح يتحكم في باقي الأنساق الأخرى والتي أصبحت مضمرة تحت هذا النسق البارز.

ومن الشخصيات التي نقل عنها "الجاحظ" والتي كانت تستخدم النسق الديني من أجل جعل البخل أمرا مشروعا نذكر ما جاء في قصة "صالح بن عفان": "قال أبو كعب : دعا موسى بن جناح جماعة من جيرانه ليفطروا عنده في شهر رمضان، وكنت فيهم، فلما صلينا المغرب و نجز بن جناح أقبل علينا ثم قال : لا تعجلوا فإن العجلة من الشيطان و كيف لا تعجلون و قد قال الله جلّ ذكره "و {كَانَ الإِنْسَانُ عَجُولًا}" وقال: {خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}.[1]

لقد لجأت شخصية صالح بن عفان إلى الاستشهاد بحكاية رجل بخيل استغل آيات

(1): أبو عثمان(الجاحظ): البخلاء، ص138.

قرآنية بعد أن نزعها عن سياقها الذي جاءت فيه ليعبّر عن شرعية البخل.

فالظاهر أن الشخصية البخيلة توظف الآيات القرآنية من أجل إخفاء بخلها وجعله أمرا مشروعا، وكأن البخيل يريد أن يتحول إلى رجل عارف بالدين وبما يقوله، لأنه جعل البخل مضمرا تحت الظاهر وهو النسق الديني المعبر عنه بآيات لا تتحدث عن البخل بل عن التقشف والزهد.

ومن الأحاديث الواردة في "البخلاء" قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: " أنهاكم عن عقوق الأمهات وواد البنات ومنع وهات".[1]

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعة الوالدين قال سبحانه وتعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }[2]، فطاعة الوالدين من طاعة الله تعالى، فعقوق الأمهات أو الآباء تجلب للإنسان الشقاء والعناء في الدنيا أما في الآخرة فمصيره جهنم والعياذ بالله.

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم– أيضا : "ألاَ أُنْبِئكم بِشِرَارِكُم؟" [3] مأخوذة من رسالة من أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي"، والمقصود من هذا الحديث أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– ينبذ كل إنسان يريد أن يكون وحيدا بتصرفاته وعدم رحمته مع غيره من الناس أيًا كان.

فجمالية "البخلاء" "للجاحظ" تبرز من خلال تميزه عن غيره وتتضح من خلال معرفته بأحوال الناس وطبائعهم وكشف عن تلك الأنساق الخفية التي كانت في عصره.

كذلك نجد قوله ما جاء في رسالة "من أبي العاص بن عبدالوهاب بن عبدالمجيد إلى الثقفي" وقد قالوا بأجمعهم: " إن الله أجود الأجودين وأمجد الأمجدين".[4]

بمعنى أن الله سبحانه وتعالى جواد لا يبخل وقد أمرنا بالجود ونهانا عن البخل

---

(1): المصدر السابق: ص180.

(2): سورة الإسراء: الآية 23.

(3): أبو عثمان(الجاحظ): البخلاء، ص181.

(4): المصدر نفسه: ص170.

وأمرنا بالصدق ونهانا عن الكذب، وأمرنا بالعدل ونهانا عن الظلم.

لقد أظهرت هذه الأنساق الدينية مدى تأثير البنية الثقافية أو النظام على حياة الأشخاص في ذلك العصر، مما يدل على أن للكتاب قيمة جمالية وأدبية، لما يحتويه من متعة، كذلك القيمة التاريخية التي ترتبط بالتراث العربي.

إن المتتبع لجوانب "الجاحظ" ومواقفه التي استقاها من مناهل متعددة، يدرك أن للشخصية الإعتزالية دور في ذلك، فلقد أثرت على شخصيات البخلاء لأنه يعد أحد كبار شيوخ المعتزلة وصاحب فرقة من فرقهم والتي دعيت بالجاحظية، لذلك فقد أثرت الثقافة الاعتزالية على هذه الشخصيات.

لقد وظف الجاحظ النسق الديني في كتاب البخلاء مما يدل على أنه تأثر بالثقافة الدينية كما تتجسد في شخصية الجاحظ السمحة هذه الصفة وكأنه كان عالما بالدّين من خلال استحضاره وذكره لمختلف الأحاديث والآيات القرآنية التي كان يستشهد بها، أو من خلال الشخصيات التي كان يتحدث معهم في ذلك العصر.

ومن الآيات القرآنية والأحاديث نذكر ما جاء في كتابه، قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "إياكم والراحة، فإنها عقلة"، وأيضا قوله:" إن يكن الشغل مجهدة، فإن الفراغ مفسدة"[1]، وكأن الرسول – صلى الله عليه وسلم– يريد أن يحذر الناس من الراحة والفراغ لأنهما مفسدة للإنسان بمعنى أن تعطي لكل شيء حقه فلنفسك عليك حق، فعلى الإنسان أن يكون وسطياً لا يعمل حتى يجهد نفسه كثير ولا يترك كل وقته فراغ.

فهذه الأنساق الثقافية المضمرة في الأحاديث تدل على أنه كان في المجتمع حضوراً لها من خلال وتوظيفها.

ومن الآيات القرآنية قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا}"[2] بيّن الله عز وجل أن للضحك والبكاء تأثير على النفس، فموقع الضحك في النفس عظيماً

(1): أبو عثمان(الجاحظ): البخلاء: ص158.

(2): المصدر نفسه: ص10.

فقد ضحك الرسول – صلى الله عليه وسلم– والصحابة والصّالحون، وكأن النسق الديني الخفي هو أن لكل شيء مقدار في الحياة ولكل شيء له موضعه وفي أحيانا أخري يراد بهما النفع.

وأيضا قول الرسول – صلى الله عليه وسلم–:" إبدأ بمن تعوّل"[1] فالنسق البارز أن نبدأ بالأهل فقد قال الرسول – صلى الله عليه وسلم–:" (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُم لِأَهْلِي)، فلا يجب أن نحرم الأهل ونبدأ بالغير، فالأهل أولى علينا في كل شيء.

وقال الله تعالى: { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث}[2]

النسق الخفي أن الإنسان البخيل هو من كان يفر من اسم البخيل فهو يشبه الكلب فإذا جاع الكلب أتبع صاحبه وإذا شبع أكلك.

فكل هذه الأحاديث والآيات تدل على ثقافة الجاحظ الدينية التي تجلت في كتابه من خلال توظيفها.

(1): المصدر السابق: ص97.

(2): المصدر نفسه: ص175.

خـــاتمـــة

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة نحاول أن نستخلص أهم النتائج التي توصلنا إليها في دراستنا لموضوع: "الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ ".

وكيف أن الجاحظ كان من أبرز العلماء الذين أخرجتهم الحياة العلمية في العصر العباسي وذلك لما اتصف به من قدرات فكرية ونبوغه العلمي والمعرفي إضافة إلى ما تحتويه كل الفصول من مجموعة النتائج التي نوردها كالأتي:

من بين ما حظيت به هذه الدراسة ما تضمنته من تعاريف عديدة للثقافة، كما لعبت الدراسات الثقافية هي الأخرى دورًا هامًا. وكذلك الأنساق الثقافية الموجودة في النص.

أما الفصل الأول فتناولت فيه السياق التاريخي الذي عاش فيه الجاحظ وكيف كانت الحياة السياسية والاجتماعية، فلقد اعتمد العباسيون في هذا العصر على الفرس في تأسيس الدولة العباسية، وتميز أيضا بثقافته نتيجة اختلاط الأجناس، كما عرفت حركة الترجمة هي الأخرى نشاطًا كبيرا في الوسط الاجتماعي.

أما "الجاحظ" فقد اثر عليه الجو الثقافي الذي كان سائدا في ذلك العصر، فقد عاش مع فئات مختلفة وتعرف على طبائع الإنسان وعاداته،كما انه ولد بالبصرة ونشأ بها، وعندما أصابه المرض عاد إلى البصرة مسقط رأسه، ونشأ الجاحظ عصاميًا فلم يعتمد إلاّ على نفسه إضافة إلى أنه تلقى العلم على يد علماء كبار أمثال"الأصمعي"، "أبوعبيدة"، "النّظام" وقد أثر هذا الأخير عليه تأثيرا كبيرا،انعكس على أدبه وسلوكه وفكره.

أما ثقافة الجاحظ فقد كانت من مصادر متنوعة ومتعددة لأنه كان ولوعًا بطلب العلم، فقد خلف لنا من مؤلفاته كتبًا ورسائل ساعده على ذلك ثقافته الواسعة ورحلاته التي كان يقوم بها، فقد خلّف نتاج أدبي واسع، كما تأثر بالمعتزلة وهي تتضمن عناصر كلامية وفلسفية وكان اهتمامه الكبير بالأدب.

أما الفصل الثاني فقد كان البحث فيه عن كيفية استخراج بعض الأنساق الثقافية الموجودة في كتاب البخلاء والذي ظهر فيه مايلي:

– وجود بعض الأنساق الثقافية المضمرة التي تتطلب تحليل ثقافي دقيق إذ أن كتاب البخلاء يحتوي على الكثير من الأنساق التي أفرزتها البيئة والظروف الإجتماعية في ذلك العصر.

– ومن الأنساق الثقافية المضمرة في بخلاء الجاحظ نذكر: الأنساق الغيرية، النسق الديني النسق الثقافي، النسق الاجتماعي.

– تحيلنا هذه الأنساق في البخلاء على الثقافة التي كانت سائدة قصد قدرة الجاحظ على إعطاء نسق مضمر لها.

– يكشف النسق الديني في بخلاء الجاحظ عن الثقافة الدينية التي كانت في المجتمع في ذلك الوقت.

قـــائمـــة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أ/ المصادر:

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

1/ التربيع والتدوير: تحقيق شارل يلات، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية،1959.

2/ البخلاء: : تحقيق طه الحاجرى، دار المعارف، القاهرة، ط5.

3/ ما لم ينشر من تراث الجاحظ، تحقيق حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق.

4/ البخلاء: تلانتقيت، بجاية.

5/ المحاسن والأضداد مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

ب/ المعاجم:

1/ أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، دار صبح، إديسوفت، بيروت، ط1، 2006.

2/ مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 2005.

3/ الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرئى سلسلة المعاجم والفهارس، لبنان، ط1، د ت.

ت/ المراجع:

1/ جميل جبر: الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، د ط.

2/ حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، ناشرون، لبنان ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

3/ راوية عبد المنعم عباس: الحس الجمالي وتاريخ الفن (دراسة في القيم الجمالية والفنية)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1998.

4/ سامي عابدين: في الأدب العباسي (قصر المأمون وأثره على العصر)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2001.

5/ سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي– النثر، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2001.

6/ ظيبة صالح الشذر: ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء، د ط.

7/ عبدالحليم محمد حسين: السخرية في أدب الجاحظ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى، طرابلس ط1، 1988.

8/ عزت السيد أحمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق د ط، 2005.

9/ عمارة بن خميسي: دراسات في مصادر الأدب العرب، العلم و الإيمان للنشر والتوزيع، د سوق.

10/ علي أحمد الخطيب: دراسات في مصادر الأدب العربي، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، ط1، 2009.

11/ علي أبو ملجم: في الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990.

12/ كريب رمضان: فلسفة في النقد الأدبي، مصطفى ناصف نموذجا، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

13/ ماجدة حمود: صورة الآخر في التراث العربي، دار العربية للعلوم، منشورات الإختلاف، بيروت، الجزائر، ط1، 2010.

14/ عبدالله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2008.

15/ عبد الفتاح أحمد يوسف: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدر العربية للعلوم ناشرون،لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010

16/ محسن جاسم الموسوعي:النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

17/ يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديثة، ط1، 2009.

ث/ الكتب المترجمة:

1/ أرثرأيزابرجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر، وفاء إبراهيم، رمضان بسطاويس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003

2/ زيودين سادار وبورين قان لون:أقدم لك الدراسات الثقافية، تر، وفاء عبدالقادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1

3/ مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، تر، عبدالصبور شاهين، مطبعة دار الجهاد، بيروت ط1، 1995.

4/ مريم سلامة كار: الترجمة في العصر العباسي (مدرسة حنين ابن اسحاق واهميتها في الترجمة)، تر، نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، 1988.

ج/ الرسائل الجامعية:

1/ أحمد عبدالقادر محمود عقل: صراع الحضارات واثره في الشعر العربي في العصر العباسي الاول (القرن الثاني الهجري)، اطروحة مقدمة استكمالا لمتطلبات الماجيستر في اللغة العربية وادابها، جامعة النجاح الوطنية، 2003.

2/ جهاد عبدالقادر قويدر: شعر الفكاهة في العصر العباسي، دراسة نقدية تحليلية، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجيستر في اللغة العربية و آدابها، جامعة البعث، 2009.

3/ عبدالرحمان عبدالدايم: النسق الثقافي في الكناية، مذكرة ماجيستر في النظرية الأدبية المعاصرة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011

4/ عقيلة بعيرة: بنية الخطاب السردي في بخلاء الجاحظ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر في الأدب العباسي، 2011.

ح/ المجلات والمنتديات:

1/ بركات محمد مراد: الجاحظ الفيلسوف الساخر والأديب الناقد، مجلة المسار، كلية التربية، العراق، العدد35.

2/ فارس عبد الله بدر الرحاوي: ثقافة المكان و أثرها في الشخصية الروائية، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، العراق، المجلد11، العدد2، 2011.

خ/ المقالات المتاحة على الانترنت:

- http://momhycee.justgoo.com يوم 10 مارس 2014.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
ملخص	
مقدمة	أ- ب
مدخل: نحو تحديد مفاهيمي	
1- مفهوم الثقافة.	4
2- مفهوم النقد الثقافي.	5
أ- الدراسات الثقافية.	5
ب- النقد الثقافي.	6
ج - مقولات النقد الثقافي.	7
د- الفرق بين النقد الثقافي والنقد الأدبي.	8
3- مفهوم الأنساق الثقافية.	9
أ - النسق: لغة.	9
ب- في مفهوم الأنساق الثقافية.	10
ج- الفرق بين النسق الثقافي والنسق الأدبي.	11
د- شروط الأنساق الثقافية.	12

الفصل الأول: السياق التاريخي الذي عاش فيه الجاحظ.

تمهيـــــد. 14

أولا: الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي. 14

1- العصر العباسي الأول (132-232 هـ ، 749 - 846 م). 15

1-1- الحياة السياسية. 15

1-2- بعض النظم الإدارية والسياسية. 15

1-3- حركة الترجمة. 17

1-4- الحياة الاجتماعية. 17

1-5- الحياة العقلية. 18

1-6- الحياة الثقافية. 19

ثانيا: علاقة الثقافة باللغة. 20

ثالثا: الجاحظ (255هـ/869 م). 21

1- إضاءة ذاتية. 21

2- مولده. 22

3- نشأته ومقامه. 22

4- تعليمه. 24

5- شيوخه. 26

6- ثقافته. 27

7- مؤلفاته. 28

7-1- كتاب البخلاء. 29

7-2- كتاب البيان و التبين 29

7-3- كتاب الحيوان. 30

7-4- رسالة التربيع والتدوير. 30

8- فلسفته و الإعتزال. 31

9- الجاحظ والجمالية العربية. 33

الفصل الثاني: الأنساق الثقافية المضمرة في بخلاء الجاحظ.

تمهيـــــــــد. 36

أولا- عرض مدونة البحث "البخلاء". 37

1- ماهية البخل. 38

2- البخل في القرآن الكريم. 39

3- ظاهرة البخل في الأدب العربي. 40

4- ظاهرة البخل في الآداب الغربية. 42

5- البخلاء ثقافيا. 43

ثانيا– الأنساق الثقافية في بخلاء الجاحظ. 45

تمهيـــــــــد. 45

1- نسق الغيرية (يتعلق هذا النوع بمحاولة الكشف عما تضمره الأنساق الثقافية من رؤية الثقافية للآخر). 45

2– علاقة الأنا بالآخر في كتاب البخلاء. 51

أ– عرب – فرس. 51

ب– أنا – الآخر. 51

3– النسق الديني. 53

خاتمة. 58

قائمة المصادر والمراجع. 61

فهرس الموضوعات. 66